رمل وزبد

جبران خليل جبران

رمل وزبد

SAND AND FOAM
BY KAHLIL CIBRAN

مع مقدّمة عامة ودراسة تحليلية

بقلم الدكتور نزار بريك هنيدي

❖ رمل وزبد / جبران خليل جبران

❖ مقدمة عامة ودراسة تحليلية: د. نزار بريك هنيدي

❖ الطبعة الأولى عام 2003 عدد النسخ 1000 نسخة

- ❖ يطلب الكتاب على العنوان التالي:

مؤسسة علاء الدين

للطباعة والتوزيع

سورية دمشق ص . ب 3 0 59

هاتف: 6110 5 فاكس: 56113241

مدخل إلى أدب جبران

بقلم الشاعر
الدكتور نزار بريك هنيدي

بماذا يتميّز الأدب الحقيقي من غيره من الأعمال الكتابية؟ وما هي المعايير التي تتيح لنا الحكم على أدب ما بأنه أدب رفيع وعظيم؟ وإذا كان تذوق النص الأدبي مرهوناً للذائقة الشخصية التي تختلف بين متلق وآخر، كما أنها تتنوع وتتطور وتتغير بين بلد وآخر، وبين عصر وعصر، فكيف يتاح لنا أن نطلق حكم القيمة الموضوعي دون أن يكون هذا الحكم مشوباً بالكثير مما تمليه الأهواء الذاتية، أو تفرضه النزعات الفردية؟

نعرف تماماً كم قيل من كلام، وكم أريق من حبر، في المحاولات المستمرة للإجابة عن هذه الأسئلة التي تشكل أساس علم الأدب، ولب جميع النظريات النقدية، منذ أن اجترح الإنسان نصوصه الأدبية الأولى. وفي يقيني إنَّ هذه المحاولات لن تتوقف ما بقي الإنسان ينتج الأدب ويتذوَّقُهُ، أو بعبارة أخرى، ما بقي الإنسان محتفظاً بجوهره الأصيل.

وبالرغم من أن المدارس الأدبية المختلفة، قد وضعت عدداً من المعايير المتباينة لتقويم العمل الأدبي، إلا أن هذه المعايير لم تكتسب صفة الشمولية أو الثبات، بل بقيت نسبية، إذا قبلت بها طائفة من النقاد أو المتلقين، رفضتها أخرى، وإذا انطبقت على نص ما، فإنها لم تنطبق على نصوص أخرى، لا يستثنى من ذلك سوى معيار واحد، يكاد يجمع عليه الجميع، وما هذا المعيار سوى نجاح العمل الأدبي في امتحان الزمن.

فالنص الذي يتجاوز عصره الذي كُتِبَ فيه، ويبقى قادراً على بثّ المتعة الأدبية، وجذب جمهور القراء، بعد انقضاء الشروط الزمانية والمكانية التي كانت تحكم ظروف إنتاجه، هو النص العظيم بامتياز. ذلك أن الزمن هو الغربال الحقيقي والحكم الفصل في قيمةِ أدبيّةِ أي عملٍ كتابيّ.

ومما لاشكَّ فيه، إنَّ أعمال جبران خليل جبران، من هذه الأعمال التي استطاعت أن تصمد في وجه الزمن، وتنجح في امتحانه. ذلك أنها اليوم، وبعد مرور أكثر من سبعين عاماً على وفاة مبدعها، مازالت تتصدّر قوائم الكتب الأكثر مبيعاً، ومازالت دور النشر تتسابق على إعادة إصدارها بطبعات شعبية أحياناً، وطبعات فاخرة أحياناً أخرى.

كما أن أعمال جبران لم تتجاوز حدود الزمان فحسب، بل تجاوزت حدود المكان أيضاً، فهي اليوم مقروءة في جميع بقاع الأرض، بعد أن تمت ترجمتها إلى معظم لغات العالم.

واعتماداً على هذا المعيار الذي قلّما يخطئ، فإن المهمة الملقاة

اليوم على عاتق النقاد والباحثين الذين يدرسون أعمال جبران، تتخطّى مسألة إطلاق حكم القيمة عليه، إلى ما هو أهم من ذلك بكثير، وهو محاولة سبر أغوار الأدب الجبراني للوقوف على الخصائص الأصيلة التي يتميز بها، واستقراء العوامل التي جعلته قادراً على ملامسة الجوانب الأكثر عمقاً وشفافيّة في الجوهر الإنساني.

ولما كان إبداع جبران خليل جبران لا يمكن فصله عن الحياة الاستثنائية التي آثر أن يعيشها كفنان استثنائي، فلا بد لنا من وقفة قصيرة مع فصول سيرته التي كانت مصدر إلهامه في الكثير من أعماله.

سيرة جبران :

ولد جبران خليل جبران في السادس من كانون الثاني عام1883 في مدينة صغيرة تقع فوق وادي قاديشا في شمال لبنان، تدعى (بشري). ومن الطريف أن جبران الذي كان يؤمن أوثق الإيمان بالتقمّص (على حد قول ميخائيل نعيمة) ما كان يحسب ولادته في شمالي لبنان مصادفة عمياء، بل كان يعتقدها نتيجة لازمة لحياة سابقة.

ذاق جبران منذ طفولته طعم الفقر والقهر، فأبوه الذي نأى بالخمر عن شؤون الأسرة، كان يعمل في عد الأغنام والماعز في الجرود لجباية الرسوم عليها، وقد أوقف بتهمة الاختلاس، فاحتجزت أملاكه وفرضت عليه الإقامة الجبرية في مركز قريب من المحكمة، مما

اضطر والدة جبران (السيدة كاملة) أن تترك زوجها ووطنها ، وتهرب بأولادها الأربعة من الذل والهوان مهاجرة بهم إلى مدينة (بوسطن) في الولايات المتحدة الأمريكية.

ووالدة جبران كانت سيدة ذكية وقوية ، تركت تأثيراً بالغاً وعميقاً في حياته وشخصيته ، وقد وصفها في إحدى رسائله إلى (مي زيادة) بقوله: (كانت محبوبة في محيطها ، ما عهدتها في أدنى درجاتها أقل من شقيقة ، و لا في أعلى درجاتها أقل من سيدة ، لقد أفهمتني وأنا بعد في الثالثة ، أن الرابطة بيننا هي كما بين صديقين ، رابطة حب متبادل ، وأننا كائنان مستقلان جمعتهما يد الحياة الشريفة ، كانت أعجب كائن عرفته في حياتي).

وفي (بوسطن) بدأت الوالدة في العمل هي وابنها البكر (بطرس). أما جبران فقد ألحق بمدرسة شعبية وبدأ تعلم اللغة الإنكليزية. ولفتت موهبة جبران في الرسم انتباه إحدى معلماته التي كتبت إلى صديقها المثقف الثري (فريد هولاند داي) طالبة منه الاعتناء بجبران ، وأعجب الفنان الثري بهذا الفتى الشرقي الذي يمتح رسومه من معين الطبيعة البكر ، فتعهده بالتعليم والرعاية ، وعَرَّفَهُ بعدد من الفنانين والأدباء ، كما أسند إليه مهمة رسم أغلفة عدد من الكتب التي تنشرها دار (كويلا اند داي) ليجني منها بعض ما يسد نفقاته.

إلا أن جبران بقي يطمح إلى الدراسة في لبنان وبلغته العربية ، فوفَّرَتْ له أمه ما يكفل له العودة إلى وطنه الذي وصل إليه أوائل

خريف عام 1898، وانتسب إلى مدرسة (الحكمة) ليدرس اللغة العربية وآدابها.

وقد روى الخوري (يوسف الحداد) وكان أستاذ البيان في المدرسة أن جبران جاءه يشكو وضعه في الصف الابتدائي رغم ما حَصَّلَهُ من معرفة باللغة الإنكليزية وإتقان لفن الرسم، فقال له الخوري (ألا تعلم أن السلّم يرقى درجة درجة)، فما كان من جبران إلا أن يردّ بقوله (بلى، ولكن هل يجهل الأستاذ أن الطائر لا ينتظر السلّم في طيرانه)، فاقشعر بدن الخوري الذي شعر أنه أمام عقلية بارزة في فتى له حكمة الشيوخ.

وفي مدرسة الحكمة نهل جبران من معين التراث العربي، فقرأ كليلة ودمنة، ونهج البلاغة، وديوان المتنبي، بالإضافة إلى التوراة والإنجيل.

أما عطلته الصيفية فكان يقضيها في بلدته (بشري) رغم أنه لم يستطع التواصل مع والده الذي كان قد انتهى إلى حالة من البؤس والفقر جعلته لا يقدّر موهبة ابنه، فوجد جبران عزاءه في الطبيعة وفي صداقته لأستاذه في مرحلة الطفولة (سليم الضاهر) وفي رعاية أحد الوجهاء الذي يدعى (طنوس الضاهر)، والذي سوف تنشأ علاقة عاطفية بين ابنته حلا وبين جبران، أعاد جبران استيحاءها بعد عشر سنوات في قصة (الأجنحة المتكسرة).

إلا أن الزمن أبى إلا أن ينغّص على جبران ما بدأ يشعر به من إلفة واطمئنان، ففي نيسان1902 بلغه خبر وفاة أخته (سلطانة) مما اضطره

إلى ترك دراسته، والعودة سريعاً إلى (بوسطن). وهناك وجد أخاه (بطرس) مصاباً بمرض السل. ثم لم تلبث أمه أيضاً أن أصيبت بالمرض، وانتابتها حالة من اليأس والقنوط، فراح جبران يكتب لها بعض الخواطر التي يمكن أن تشدّ من أزرها بالرغم من أنه هو نفسه كان في تلك الفترة شديد الاضطراب. وقد كتبت صديقته (جوزفين) في مفكرتها واصفة حالته في تلك المرحلة: (جاءني جبران بالغ التعاسة، إنني أعرف في أعماق قلبي ما يقاسي من عذاب، وإنني فخورة بهذا العبقري الذي استقوى على واقعه).

وسرعان ما قضى المرض على أخيه (بطرس)، وما هي إلا أيام معدودات حتى لحقت به أمه، فعظمت المصيبة على جبران الذي قال في وفاتها: (ما بكيت عليها لأنها أمي وحسب، بل لأنها صديقتي. لقد كانت حكيمة فوق كل حكمة. إنها أعذب ما تحدثت به الشفاه البشرية: يا أمي، تلك الكلمة الصغيرة الكبيرة والمملوءة بالأمل والحب).

ورغم أن الحب الذي جمع جبران مع الشاعرة الأمريكية (جوزفين بيبودي)، كان عزاء جبران في تلك المرحلة، إلا أن جوزفين أيضاً لم تلبث أن وضعت حدّاً لهذه العلاقة بزواجها من رجل ثري يختلف عن جبران الذي كان فقيراً وأصغر سناً منها، ولم يبق من ذلك الحب سوى ما سوف يفوح فيما بعد من صفحات كتاب (دمعة وابتسامة).

وبعد هذه الصدمات المتوالية، تفرّغ جبران لرسومه وكتاباته،

فأقام معرضاً للوحاته ترك انطباعاً جيداً. وكان من بين زوّار المعرض ابنة رجل سياسي معروف، سوف يكون لها شأن هام في حياة جبران، وتدعى (ماري هاسكل). وقد بلغ إعجابها بلوحاته أن دعته إلى عرضها في المدرسة الخاصة التي تديرها. كما تعرّف في الوقت نفسه على الصحفي (أمين الغريب) الذي كان يصدر جريدة (المهاجر)، فأخذ ينشر مقالاً أسبوعياً فيها.

وأصدر جبران كتابه الأول (الموسيقا) عام 1905، وأتبعه عام 1906 بكتابه الثاني (عرائس المروج) الذي نشره له (أمين الغريب) في نيويورك، وبدأت كتابات جبران تلقى المزيد من الإعجاب بين قرّاء العربية لما تتضمنه من نكهة خاصة وأسلوب فريد.

وراحت العلاقة تتوطد بين جبران، وبين ماري هاسكل التي عرّفته على صديقة فرنسية اسمها (إملي ميتشل) وتعرف بـ (ميشلين) وهي التي سيتخذ منها جبران موديلاً لرسوماته، فتضطرم نار الحب مع خطوط ريشته ليعيش قصة حب جديدة. وربما كان لميشلين أثر في تعريف جبران بالشعر الفرنسي، وفي إذكاء رغبته في السفر إلى فرنسا التي كانت تعج بحركة فنية تنطلق منها الحركات الفنية الحديثة.

وربما كانت ميشلين نفسها هي التي أهدى إليها جبران كتابه الثالث (الأرواح المتمردة) الذي صدر عام 1908 والذي صدّره بالتقديم التالي: (إلى الروح التي عانقت روحي، إلى القلب الذي سكب أسراره

في قلبي، إلى اليد التي أوقدت شعلة عواطفي أرفع هذا الكتاب).

وما كان من ماري هاسكل أمام رغبة جبران الجامحة في السفر إلى باريس، إلا أن وافقت على إرساله على نفقتها، فسافر في تموز1908 حيث كانت ميشلين في انتظاره. ودخل جبران أكاديمية (جوليان) وتعلم أصول الرسم على يد الرسام جان بول لورنس، لأنه كان قبل ذلك يرسم معتمداً على فطرته دون أية دراسة أكاديمية، وهو ما عبر عنه بقوله (كنت في الظلام، والآن أشعر أنني أسير في الغسق نحو النور).

وخلال وجوده في باريس، لم ينقطع عن مراسلة (ماري هاسكل) بالرغم من وجود ميشلين إلى جانبه، بل إنه يقول لماري في إحدى رسائله (ميشلين الحلوة هي أم صغيرة عزيزة وطفلة صغيرة عزيزة، إنها في الواقع عون).

ولما اشتدّ به المرض آثر أن يعود إلى جانب ماري هاسكل طالباً منها الزواج، ورغم حبها لجبران وإعجابها به، إلا أنها رفضت عرض الزواج كي لا تحدّ من طموحه الإبداعي، وكان لها أن أرسلته إلى نيويورك ليتعرف على الأدباء العرب فيها وعلى رأسهم (أمين الريحاني).

وفي نيويورك عرضت لوحات جبران، وفي سنة 1912 أصدر روايته (الأجنحة المتكسرة) وأهداها (إلى التي تحدق بالشمس بأجفان جامدة، وتقبض على النار بأصابع غير مرتشعة، وتسمع نغمة الروح الكلي من وراء ضجيج العميان وصراخهم، إلى ماري هاسكل)، وبعد

سنتين صدر كتابه (دمعة وابتسامة).

وفي هذه المرحلة بدأت تلك العلاقة النادرة بينه وبين الأديبة (مي زيادة) عبر الرسائل التي لم تنقطع بينهما حتى وفاته.

ومنذ سنة 1912 بدا جبران أكثر التحاماً مع قضايا وطنه الذي يعاني وطأة الاحتلال العثماني، فكتب المقالات التي تدعو العرب إلى الاتحاد لمقاومة العثمانيين، وحين عمّت المجاعة لبنان سنة1916 كتب نصّه (مات أهلي) كما اشترك في حملة لجمع التبرعات.

وفي عام 1920 أسس جبران مع ميخائيل نعيمة وإيليا أبي ماضي وأمين الريحاني وآخرين (الرابطة القلمية) وانتخب جبران رئيساً لها. وقد أصدر عام 1919 قصيدة (المواكب) وهي القصيدة الوحيدة التي اعتمد فيها الوزن والقافية. ثم أصدر عام 1920 كتابه (العواصف)، وفي عام 1923 نشرت له مكتبة العرب في مصر كتاب (البدائع والطرائف).

وكان جبران قد أتقن اللغة الإنكليزية بفضل علاقته مع ماري هاسكل، التي استمرت في مراجعة ما يكتبه بالإنكليزية حتى بعد أن غادرت بوسطن وتزوجت. وقد أصدر جبران كتاب (المجنون) عام1918 باللغة الإنكليزية وأتبعه عام1920 بكتاب (السابق) وعام1923 صدر كتابه (النبي) الذي سرعان ما أصبح أكثر الكتب مبيعاً في الولايات المتحدة.

وفي سنة 1925 التقى مع الشاعرة الأمريكية (باربرة يونغ) التي أصبحت سكرتيرته الخاصة، وكان قد اتجه نهائياً إلى الكتابة بالإنكليزية. فأصدر كتاب (رمل وزبد) عام 1926، وكتاب (يسوع بن

الإنسان) عام 1927، و(آلهة الأرض) عام 1930، و(التائه) سنة 1931 وكتب فصولاً من كتاب (حديقة النبي) التي سوف تعمل سكرتيرته على إتمامه ونشره بعد وفاته، ففي ربيع 1931 اشتدت عليه وطأة المرض، فنقلته سكرتيرته إلى المستشفى حيث ودّع الحياة في العاشر من نيسان، وتلبية لوصيته تم نقل جثمانه إلى بلدته (بشري) حيث رقد رقدته الأخيرة.

عوامل التكوين :

شكّلت أعمال جبران خليل جبران منعطفاً جديداً في تاريخ الثقافة العربية، وعلامة فارقة في الأدب العالمي كله، وكان ذلك نتيجة لتضافر مجموعة من العوامل:

منها ما كان مركوزاً في عمق شخصيته، التي تجنح نحو مثالية طهرانية، لا تعترف بالإنسان إلا متعبداً في محراب القيم العليا من خير ومحبة وعدالة وجمال.

ومنها ما كان نتيجة للواقع الذي عاشه في طفولته في لبنان، حيث أدرك بحسه المرهف النافذ مدى الانفصام الحاصل بين فتنة الطبيعة الخلابة، وبين قسوة علاقات الحياة اليومية بين البشر، فاختار الانحياز إلى الطبيعة وسحرها، وآمن أن في الطبيعة قوى أكثر جدارة بإضفاء المعنى على الوجود البشري، من تلك القوى المادية التي تستهلك روح الإنسان وجسده. وربما كان هذا هو السبب الحقيقي وراء اعتناقه

لفكرة التقمّص منذ المراحل المبكرة من حياته. وهو السبب أيضاً وراء تلك الرومانسية الطاغية التي ترى في عالم الغاب الجنَّةَ الوعودة، حيث لا شرور ولا آثام وليس سوى المحبة والجمال، وهذا ما يفسّر ولعه الشديد بتلك (التيمة) البلاغية الأثيرة التي قلما يخلو منها نص من نصوصه، وهي تجسيد الطبيعة وموجوداتها ككائنات تفيض بالحياة.

ولا ريب في أن ما ورثه جبران من الثقافة العربية يشكّل لبنة رئيسة من لبنات المعمار الجبراني. فقد قرأ الشعر العربي والفلسفة العربية، فأعجب بابن الفارض الذي قال عنه (في شعره ما لم يحلم به الأولون ولم يبلغه المتأخرون). كما فتنته قصيدة ابن سينا في النفس التي يقول عنها: (ليس بين ما نظمه الأقدمون قصيدة أدنى إلى معتقدي، وأقرب إلى ميولي النفسية من قصيدة ابن سينا في النفس). وبعد أن يقارن بينها وبين أبيات لشكسبير وشيللي وغوته وبراونن يقرر أن (الشيخ الرئيس قد تقدم جميع هؤلاء بقرون عديدة، فوضع في قصيدة واحدة ما هبط بصور متقطعة على أفكار مختلفة في أزمنة مختلفة، وهذا ما يجعله نابغة لعصره وللعصور التي جاءت بعده).

كما يبدي إعجابه بالغزالي الذي يعتبره (أقرب إلى جواهر الأمور وأسرارها من القديس أوغوسطينوس).

إلا أن أهم ما ورثه جبران عن الثقافة العربية والشرقية هو تَمَثّلُهُ لشخصية المخلّص أو (النبي) ولغته ومواقفه. وهو ما يعبّر عنه جبران في إحدى رسائله إلى ماري هاسكل عام1929 حيث يقول (إن الطموح الجوهري للشرقي العظيم هو أن يكون نبيّاً). غير أن الجبرانيّة (على

حد تعبير أدونيس في كتابه الثابت والمتحول) هي، جوهرياً، نبوة إنسانية، ويضيف أدونيس (إن الفرق بين النبوة الإلهية والنبوة الجبرانية هي أن النبي في الأولى ينفذ إرادة الله المسبقة، الموحاة، ويعلم الناس ما أوحي له، ويقنعهم به. أما جبران، فيحاول على العكس، أن يفرض رؤياه الخاصة على الأحداث والأشياء، أي وحيه الخاص، وحين نفرغ النبوة من دلالتها الإلهية، نجد أنها الطريقة والغاية لنتاج جبران كله. فجبران يقدم مفهوماً جديداً، ضمن تراث الكتابة الأدبية العربية، للإنسان والحياة).

ولا بدّ من ذكر عامل آخر شديد الأهمية من عوامل التكوين الجبراني، يتجلى فيما نهله جبران من معين الثقافة الغربية ليتمثّله ويصهره مع المكونّات الأخرى لشخصيته وإبداعه.

وحسبنا هنا أن نشير إلى تأثّر جبران بنيتشه وكتابه (هكذا تكلم زرادشت) الذي اعتبره جبران (من أعظم ما عرفته كل العصور)، كما نشير إلى إعجابه بشكسبير وشيللي لأنهما تحررا من (ربقة الماضي)، وكذلك (وليم بليك) الذي يقول عنه: (لن يتسنى لأي امرئ أن يتفهّم بليك عن طريق العقل، فعالمه لا يمكن أن تراه إلا عين العين).

بنية الأدب الجبراني :

أما بنية الأدب الجبراني، فتتألف من مزيج من العناصر الرومانسية والواقعية والصوفية والثورية والحداثية، التي استطاع جبران

أن يؤالف بينها في توليفة سحرية، لا تتأتى إلا لمبدع كبير حقاً. فأدبه رومانسي وواقعي وصوفي وثوري وحداثي في الوقت نفسه، وإذا كنّا سنفصل بين هذه العناصر فيما يأتي، فما ذلك إلا لغرض دراسي بحت نهدف منه إلى التدليل على وجودها. أما كيف تتجدل هذه الخيوط وتتفاعل فيما بينها لتتماهى في النسيج الأدبي لنصوصه، فذلك هو سرّ هذه النكهة الخاصة التي تمنح أعمال جبران فرادتها وخصوصيتها.

الرومانسية

تتجلّى (رومانسية جبران) أكثر ما تتجلّى في تمجيده للإنسان، الذي لا يراه محور الكون، ولبَّ الوجود وحسب، بل إنه يرفعه إلى مصاف الألوهية، إذ إنّ (الإنسانية روح الألوهية على الأرض) على حد تعبيره في نصه (صوت الشاعر).وهو يقول في (نشيد الإنسان): (أنا كنت منذ الأزل، وها أنا ذا، وسأكون إلى آخر الدهر، وليس لكياني انقضاء).

كما يقول في موضع آخر: (على أنني وجدت بين هذه النكبات المخيفة، والرزايا الهائلة ألوهية الإنسان واقفة كالجبّار تسخر بحماقة الأرض وغضب العناصر، ومثل عمود نور منتصبة بين خرائب بابل ونينوى وتدمر وبمباي وسان فرانسيسكو ترتّل أنشودة الخلود قائلة: لتأخذ الأرض مالها، فلا نهاية لي).

ومن مظاهر رومانسيته أيضاً الاحتفاء بالطبيعة وتمجيد

عناصرها، فهي الجنة التي ليس فيها حزن ولا ألم ولا ظلم:

ليس في الغابات حزن لا ولا فيها الهموم

فإذا هبّ نسيم لم تجئ معه السموم

ليس في الغابات حرّ لا ولا العبد الذميم

إنما الأمجاد سخف وفقاقيع تعوم

لم أجد في الغاب فرقاً بين نفس وجسد

فالهوا ماء تهادى والندى ماء ركد

بل ربما كان جبران قد وصل في بعض أبيات هذه القصيدة إلى كتابة أبلغ ما يطمح إليه الرومانسيون في التعبير عن تعبّدهم في محراب الطبيعة، ودعوة الناس إلى العودة إلى أحضانها:

هل تحمّمتَ بعطرٍ وتنشّفتَ بنور

وشربت الفجر خمراً في كؤوس من أثير

هل فَرَشْتَ العشبَ ليلاً وتَلَحَفّتَ الفضا

زاهداً فيما سيأتي ناسياً ما قد مضى؟

ومن تجليات رومانسيته أيضاً تغنّيه الدائم بالحزن والألم والوحدة، وولَعُهُ بمناجاة الليل والقمر والبحر والريح والضباب والسكون والصمت، وشغفه بتجسيد موجودات الطبيعة، وتشخيص

العواطف البشرية، وتحويل الكثير من صفحات كتبه إلى مسارح تصول وتجول فيها الأرواح والأشباح والجنيات والساحرات. اسمعه في مقطوعته (أيها الليل) يقول: (ياليل العشاق والشعراء والمنشدين، يا ليل الأشباح والأرواح والأخيلة، يا ليل الشوق والصبابة والتذكار. أيها الجبّار الواقف بين أقزام غيوم المغرب وعرائس الفجر، المتقلّد سيف الرهبة، المتوّج بالقمر، المتّشح بثوب السكوت، الناظر بألف عين إلى أعماق الحياة، المصغي بألف أذن إلى أنّة الموت والعدم).

الواقعيّة

وتبدو (واقعيّة) جبران واضحة في قراءته المتعمّقة لأحوال الواقع، وما يعجّ به من مآس ومظالم وآلام، ومعالجته لكل ذلك في قصصه وكتاباته، مشخصاً العلّة في كل حالة، وداعياً إلى مجابهتها ومقاومتها، في سبيل تنقية العالم من الشرور والآثام، وجعله أكثر جدارة بالإنسان.

فهو يبني قصته (مرتا البانية) على مقولة أن المرأة الداعرة، قد لا تكون سوى فتاة فقيرة سحقها الظلم الاجتماعي ورمى بها الفقر والحرمان إلى الدرك الذي آلت إليه. لذلك يقول لها جبران: (إي يا مرتا، أنت زهرة مسحوقة تحت أقدام الحيوان المختبئ في الهياكل البشرية).

أما قصة (يوحنا المجنون)، فقد بناها على ما أدركه في الواقع من أن الرجال الذين يتسترون بإهاب الدين، قد لايكونون أقل وحشية وقدرة على ظلم الآخرين وسلبهم أرزاقهم وحريتهم من غيرهم من الطغاة

والمجرمين.

كما ان قصة (وردة الهاني) يمكن اعتبارها المعادل الأدبي لما كان يجري - ولا يزال- في الواقع، من قهر للمرأة، وإرغامها على الزواج بمن لا تحب، لا لشيء إلا لأنه القادر على دفع الثمن. أما عواطف المرأة ومشاعرها وحقها في الاختيار فهي أمور يضرب بها المجتمع عرض الحائط، مما يؤدي إلى تلك المآسي التي مازالت تتكرر حتى اليوم في مجتمعاتنا. وهكذا يمكن للقارئ أن يجد الأساس الواقعي لكل قصص جبران الأخرى، مثل صراخ القبور، ومضجع العروس، وخليل الكافر والأجنحة المتكسرة وغيرها.

وتتضح (واقعيّة) جبران أيضاً في تفاعله مع القضايا السياسية اليومية التي يعاني منها أبناء أمته الرازحون تحت نير الاستعمار التركي، فهو ما فتئ يحرّضهم على الثورة على الاحتلال، ويحذرهم من مغبة التعاون مع الحكم التركي، ويؤكد أن لاسبيل أمامهم لانتزاع حريتهم سوى بالاعتماد على الذات، وإن الاتحاد هو السلاح الأمضى في مواجهة أعدائهم.

وفي مقالته (الأمم وذواتها) يعيد الثقة بنهضة الذات العربية حين يقول (أما الذات العربية فقد تجوهرت وشعرت بكيانها الشخصي في القرن الثالث قبل الإسلام، ولم تتمخّض بالنبي محمد حتى انتصبت كالجبّار وثارت كالعاصفة متغلبة على كل مايقف في سبيلها، ولما بلغت العباسيين تربّعت على عرش منتصب فوق قواعد لا

عداد لها أوّلها في الهند وآخرها في الأندلس، ولما بلغت عصارى نهارها وكانت الذات المغولية، قد أخذت تنمو وتمتد من الشرق إلى الغرب كرهت الذات العربية يقظتها، فنامت ولكن نوماً خفيفاً متقطعاً، وقد تعود وتفيق ثانية لتبيّن ما كان خفيّاً في نفسها كما عادت الذات الرومانية في زمن النهضة الإيطالية المعروفة بالرنسانس).

وكان جبران يواكب جميع الأحداث التي تمرُّ بأمته، فعندما اعتقل الأتراك عدداً من الثوّار عام 1911 كتب عن (الانحطاطية المطلقة) للأتراك، وحين حلّت المجاعة عام1916 كتب نص (مات أهلي)، ونص (في ظلام الليل).

كما كتب نصوصاً متعددة يحضّ فيها أبناء أمته على التخلص من كل ما يعيق نهضتهم وتحررهم، كما في نص (الأضراس المسوسة)، ونص (المخدرات والمباضع) وغيرها.

الصوفيّة

أما (صوفيّة) جبران، فنلمسها في اعتناقه للنهج العرفاني الذي يعتمد الحدس والرؤيا والبصيرة للوصول إلى المعرفة. فإذا كان العقل يرى المظهر الخارجي للأشياء عبر البصر، فإنَّ القلب يرى بالبصيرة جوهرها الأصل، ويفهم أعمق أعماقها. يقول جبران: (تلك الرؤيا، تلك البصيرة، ذلك التفهم الخاص للأشياء الذي هو أعمق من الأعماق وأعلى من الأعالي).

ولايمكن للمرء أن يصبح رائياً حقيقياً إلا بعد أن يتخطى جدران الحاضر، ويزيل البراقع التي يسدلها الواقع على وجهه، كما أزال (المجنون) في كتاب جبران البراقع، فالتهبت نفسه بمحبة الشمس. يقول جبران (ولما فَصَلَتْ تصوّراتي بيني وبين البشريّات وأزاحت تخيّلاتي برقع المادة عن ذاتي المعنوية شعرت بنمو روحي يقرّبني من الطبيعة ويبيّن لي غوامض أسرارها ويفهمني لغة مبتدعاتها).

ومن مظاهر (صوفيته) أيضاً إيمانه بوحدة الوجود، فما الإنسان إلا بضعة من الذات الإلهية. يقول جبران على لسان علي الحسيني في (عرائس المروج): (شعر بأنّ جوهر نفسه لم يكن غير شطر من شعلة متقدة فصلها الله عن ذاته قبيل انقضاء الدهر). فالله فصل شعلة من ذاته، ومن هذه الشعلة كان جوهر النفس البشرية. كما يقول في كتابه(دمعة وابتسامة): وفصل إله الآلهة عن ذاته نفساً وابتدع فيها جمالاً..وابتسم إله الآلهة وبكى وشعر بمحبة لا حدَّ لها ولا مدى وجمع بين الإنسان ونفسه). والإنسان هو كلمة الله، كما يقول في كتابه(رمل وزبد): (تكلم الله، فكانت كلمته الأولى إنساناً). وإن أحلام الإنسان وعواطفه ما هي إلا جزء من الروح الكلي الخالد، كما جاء في قوله: (ولكن الأجيال التي تمرّ، وتسحق أعمال الإنسان لا تفني أحلامه، ولا تضعف عواطفه.. فالأحلام والعواطف تبقى ببقاء الروح الكلي الخالد، وقد تتوارى حيناً وتهجع آونة متشبّهة بالشمس عند مجيء الليل، وبالقمر عند مجيء الصباح). وعندما يصف بطله (يوحنا)

في (عرائس المروج) يقول: (ويوحنا يتألم مع الإله الإنسان بالجسد، ويتمجّد معه بالروح).

ولئن كانت غاية الصوفي أن يترفّع عن رغد الحاضر وكدره في سبيل تحقيق غايته الأسمى، وهي الاقتراب من جوار الذات الإلهية، فإن جبران يقول في (المواكب):

فإن ترفَّعتَ عن رغدٍ وعن كَدَرٍ جاورتَ ظلَّ الذي حارَتْ به الفكرُ

كما يقول في موضع آخر(ليس الجهاد في الطبيعة سوى شوق عدم النظام إلى النظام)، ويقيناً فإن هذه العبارة تبدو، وكأنها خارجة من أحد كتب المتصوفة الكبار.

الثوريّة

وربما كانت (الثوريّة) هي السمة الأكثر نصاعة من سمات الأدب الجبراني. فجبران ثائر متمرّد لا يرى للحياة معنى إن لم تكن نضالاً دؤوباً في سبيل الحرية. فالحريّة وحدها هي التي تحقّق إنسانية الإنسان. لذلك نسمعه يتضرع في محرابها: (من أعماق هذه الأعماق نناديك أيتها الحرية فاسمعينا. من جوانب هذه الظلمة نرفع أكفنا نحوك فانظرينا وعلى هذه الثلوج نسجد أمامك فارحمينا) ويقول في موضع آخر: (أحببت الحرية فكانت محبتي تنمو بنمو معرفتي عبودية الناس للجور والهون، وتتسع باتساع إدراكي خضوعهم للأصنام المخيفة التي نحتتها الأجيال المظلمة، ونصّبتها الجهالة المستمرة).

و لأن جبران ثائر حقيقي، فقد كان لا بدَّ له من أن يحرّض على الثورة على كل ما يستلب الحرية، أو ينتقص منها، وعلى كل من يمارس الاضطهاد والاستغلال، ويبث الآثام والشرور، ويعيق ممارسة الإنسان لحقه الطبيعي في التمتع بالخير والعدل والجمال.

ولذلك يعلن جبران ثورته على الحكّام والأمراء ورجال الدين والإقطاعيين والأغنياء الذين يتحالفون فيما بينهم ضد جماهير الفقراء والمستضعفين، وهو يرى في تحالفهم الأسود هذا (علّة مزمنة قابضة بأظفارها على عنق الجامعة البشرية).

يقول جبران: (ابن الشرف الموروث يبني قصره من أجساد الفقراء الضعفاء، والكاهن يقيم الهيكل على قبور المؤمنين المستسلمين. الأمير يقبض على ذراعيّ الفلاح المسكين والكاهن يمدّ يديه إلى جيبه. الحاكم ينظر إلى أبناء الحقول عابساً والمطران يلتفت نحوهم مبتسماً، وبين عبوسة النمر وابتسامة الذئب يفنى القطيع. الحاكم يدّعي تمثيل الشريعة والكاهن يدّعي تمثيل الدين، وبين الاثنين تفنى الأجساد، وتضمحلّ الأرواح).

ولم يكن جبران مجرّد مصلح اجتماعي، بل كان ثوريّاً حقيقياً ومتمرّداً أصيلاً. لذلك امتدّت ثورته لتشمل كل ما من شأنه الحد من حرية الإنسان مهما بلغ من قدسية أو رسوخ. فوجد أن أسس الظلم الاجتماعي تكمن في استغلال الشريعة لتبرير السيطرة على جموع الشعب، لذلك قال (الشريعة، وما هي الشريعة؟ مَن رآها نازلة مع نور

الشمس من أعماق السماء؟ وأي بشري رأى قلب الله، فعلم مشيئته في البشر؟ وفي أي جيل من الأجيال سار الملائكة بين الناس قائلين: احرموا الضعفاء نور الحياة، وافنوا الساقطين بحدّ السيف، ودوسوا الخطاة بأقدام من حديد؟).

كما ثار على العادات والتقاليد، ورأى أن التمسك بموروث الماضي البالي ما هو إلا موت حقيقي. يقول جبران: (ان بليّة الأبناء في هبات الآباء، ومن لا يحرم نفسه من عطايا آبائه وأجداده يظل عبد الأموات حتى يصير من الأموات) كما يقول: (وأغرب ما لقيت من أنواع العبوديات، وأشكالها العبودية العمياء، وهي التي توثق حاضر الناس بماضي آبائهم، وتنيخ نفوسهم أمام تقاليد جدودهم، وتجعلهم أجساداً جديدة لأرواح عتيقة، وقبوراً مكلسة لعظام بالية).

وتتجلى ثوريّة جبران في مواقفه السياسية، ولاسيما في دعوته أبناء أمته إلى الثورة من أجل التحرر من النير العثماني. فهو يقول في رسالة له إلى ماري هاسكل عام1911 بعد أن بلغته أخبار من سورية بوجود من يدعو إلى التعاون مع الحكم التركي: (أحاول أن أبشّر السوريين الذين يعتمدون على الحكم الجديد في تركيا، بأن يعتمدوا على الذات.. أريدهم أن يعرفوا أن عرش السلطان الجبار مبني على رمل رطب. لماذا يركعون أمام صنم ملوث مادام أمامهم فضاء لا حدَّ له).

وحين عقد مؤتمر باريس لبحث قضيّة الحكم الذاتي في سورية، وكان من المقرّر حضور جبران هذا المؤتمر كمندوب عن السوريين في أمريكا، رفض الحضور، لأن وجهة نظره كانت رفض

الدبلوماسية التي لن تؤدي إلا إلى وضع سورية، والبلاد العربية تحت حماية أجنبية جديدة. ويؤكد جبران أن ليس أمام العرب سوى أن يعلنوا الثورة، فبالثورة وحدها يمكن لهم أن ينتصروا.

وفي معالجة جبران للعلل التي تعاني منها الأمة كان يرفض أيضاً أي منهج إصلاحي فهو يقول: (في فم الأمة السورية أضراس بالية سوداء قذرة ذات رائحة كريهة، وقد حاول أطباؤنا تطهيرها وحشوها بالميناء، وإلباس خارجها رقوق الذهب، ولكنها لاتشفى، ولن تشفى بغير الاستئصال).

وحين قامت الثورة السوفياتية الاشتراكية أعلن فرحه، وقال في رسالة إلى (ماري هاسكل) سنة1917: (إن الذات العتيقة للجنس البشري آخذة في الموت السريع، والذات الجديدة آخذة بالانبثاق كجبّار فتي). وقال (وجميع القياصرة، وجميع الأباطرة في العالم كله لن يستطيعوا أن يجعلوا الزمن يمشي إلى الخلف).

الحداثة

أما حداثة جبران فلا تقتصر على ما قام به من هدم لأفكار الماضي البالية، التي تكبّل الإنسان وتعيق تقدمه وتطوره، ومن زعزعة للأسس التي يقوم عليها الاستغلال والاضطهاد، ومن تبشير برؤيا جديدة يصبح فيها الإنسان سيّد مصيره، وسيّد الطبيعة من حوله، رؤيا تقوم على الحريّة والحب والعدل والجمال. بل إن أية نظرة إلى الإنجاز

الجبراني تبقى ناقصة إذا لم تدرك أنه كان إيذاناً بثورة الحداثة التي سوف تنقل الكتابة العربية من حال إلى حال، أو كما يقول (أدونيس): (تبقى أهمية جبران الأولى في أنه سلك طريقاً لم تعرفها الكتابة العربية.. فلم تعد الكتابة العربية، بدءاً منه، تتأمل ذاتها في المرايا اللفظية، بل أصبحت تنغمس في العذاب والبحث، والتطلع، ومن هنا امتلأت بالحيوية..). ولذلك يعتبره أدونيس (مؤسساً لرؤيا الحداثة، ورائداً أوّل في التعبير عنها).

تقوم حداثة جبران على رفضه للمفهوم التقليدي للشعر، فالشاعر ليس من يستخدم الكلام العادي، ويصبّه في قالب مسبق الصنع ليصف مظاهر الأشياء. وهو ليس من يلمُّ المعاني المطروحة على قارعة الطريق ليتخيّر لها الألفاظ المناسبة، ويجّود في سبكها، ويقيم لها وزنها. بل الشاعر هو من يرى ما وراء الأشياء، ويغوص إلى الأعماق. هو من (يغمض عينيه عن الدنيا ليرى ما وراء الدنيا، ويغلق أذنيه عن ضجة الأرض ليسمع أغاني اللانهاية) حسب وصف جبران لابن الفارض.

والشعر هو قول ما لا يمكن للغة الكلام العادية أن تقوله، وهو ما يعبّر عنه جبران في العبارة التالية: (في أعماق نفسي أغنية لا ترتضي الألفاظ ثوباً. أغنية تقطن حبّة قلبي، فلا تريد أن تسيل مع الحبر على الورق). فلغة الكلام العادية لا يمكن أن تصلح للتعبير عما يحسّه الشاعر ويراه. لذلك لا بدّ لكل شاعر من أن يخلق لغته الخاصة به، وهو ما أدركه جبران فقال: (ففي العربية خلقت لغة جديدة داخل لغة

قديمة، كانت قد وصلت حدّاً بالغاً من الكمال. لم أبتدع مفردات جديدة بالطبع، بل تعابير جديدة واستعمالات جديدة لعناصر اللغة).

وكما أن لغة الكلام العادية لا تصلح للشعر، فكذلك لا يوجد شكل محدد يمكن له أن يحتوي ما يفجّره الشعر من كشوف ورؤى. فمجال الشعر هو: (الشيء الآخر الأبعد في الإنسان، الشيء الذي لا نفهمه، والذي نسعى لأن نجد شكلاً يعبّر عنه، ولم نجده حتى الآن). حسب تعبيره.

وهكذا كان لا بدّ لجبران من أن يسخر من هؤلاء الذين يعتمدون القوالب الجاهزة والصيغ القديمة: (لو تخيّل الخليل أن الأوزان التي نظم عقودها، وأحكم أوصالها ستصير مقياساً لفضلات القرائح، وخيوطاً تعلق عليها أصداف الأفكار لنثر تلك العقود، وفصم عرى تلك الأوصال).

بل إنه يسخر حتى من هؤلاء الذين يحاولون تقليد عمالقة الشعر العربي والنسج على منوالهم، لأنهم بذلك يفتقدون أصالة التعبير عن ذواتهم، ولا ينتجون سوى نسخة ثانية باهتة لانضرة فيها ولا حياة: (ولو تنبّأ المتنبي، وافترض الفارض أن ما كتباه سيصبح مورداً لأفكار عقيمة ومقوداً لرؤوس مشاهير يومنا لهرقا المحابر في محاجر النسيان، وحطّما الأقلام بأيدي الإهمال).

ذلك أن المقلّد لا يكتشف شيئاً، ولا يختلق أمراً، فهو ذاك الذي يسير من مكان إلى مكان على الطريق التي سار عليها ألف قافلة وقافلة على حد تعبير جبران، الذي يقول أيضاً (فإذا كان الشاعر أبا

اللغة وأمها، فالمقلد ناسج كفنها وحافر قبرها).

وكان جبران يعي أن ثورته الحداثية على الأشكال القديمة والصيغ الجاهزة والأوزان الموروثة تهدم لكي تبني، وكان يدرك أنه لا بدّ للمجددين من امتلاك مواهب جبارة لإنجاز حداثتهم: (أما الآن فأنا أريد الأشياء الجبارة التي تدمّر كيما تبني بناءً نبيلاً).

وأخيراً، هل استطاع جبران أن ينجز فيما كتبه من نصوص إبداعية بناء جميع أركان الصرح الحداثي الذي بشّر به؟ بالطبع لا. فتلك مهمة منوطة بحركة الحداثة العربية برمتها، التي مازالت تعمل على إنجازها حتى اليوم. ألم يقل هو نفسه: (جئت لأقول كلمة وسأقولها، وإذا أرجعني الموت قبل أن ألفظها يقولها الغد.. والذي أقوله الآن بلسان واحد يقوله الآتي بألسنة عديدة).

وحسب جبران أنه كان برقاً مبكّراً من البروق التي أضاءت فضاء الأدب العربي المعاصر، وأضرمت فيه نار الحداثة والإبداع.

د. نزار بريك هنيدي

رمل وزبد

دراسة تحليليّة

جبران

وحكمة البلاغة الموجزة

لم يترك جبران شكلاً من الأشكال الأدبية، أو أسلوباً من الأساليب الفنية، إلا واستخدمه في كتاباته، بعد أن حاول تطويره وتحديثه وتطويعه لرؤيته الجمالية، وتوجهاته الفكرية. ولا ريب في أن ذلك يعود بالدرجة الأولى، إلى الذات الإبداعية الجبّارة الكامنة فيه، والتي لم تكن لتستكين إلى أي شكل من الأشكال المستقرّة أو الناجزة، لأن ما يمور داخل هذه الذات من هواجس ورؤى، وما ينضح عنها من إضافات فنية جمالية، ينوء بحملها أي شكل بمفرده، أو أسلوب بعينه. وذلك مظهر من مظاهر ما يسمى (القلق الإبداعي)، الذي يلازم الأدباء العظام والفنانين الكبار، ممن يساهمون في صنع المنعطفات الهامة في تاريخ الأدب والفن.

فقد كتب جبران الرواية، كما كتب القصة القصيرة والمشهد المسرحي، وكتب القصيدة الموزونة والمنثورة، والنثر الفني، والخاطرة، والمقالة السياسية والاجتماعية والأدبية. وتمثّل كافة الأساليب الفنية التي اطلع عليها من خلال قراءاته الواسعة في التراث العربي، أو في الكتب الدينية المقدسة، أو في الأدب العالمي.

إلا أن هناك شكلاً من أشكال الكتابة والتعبير، تمتد جذوره عميقة في التراث العربي وفي النصوص الدينية، هو القول الموجز البليغ، الذي يلبس لبوس المثل السائر، أو الحكمة المأثورة، استهوى جبران، فراح يكتبه بشكل مستقل حيناً، أو يضمّنه في نصوصه الأخرى من رواية وقصة ومقالة أو قصيدة، في أحيان أخرى.

فنحن نجد في جميع نصوصه تقريباً، الكثير من هذه الأقوال التي يمكن فصلها عن سياقها العام، لتصبح نصوصاً قائمة بذاتها، يمكن للمرء أن يحفظها، ويرددها مستخلصاً منها العبرة والحكمة، أو مؤيداً الفكرة التي يحاجج الآخرين بها، أو مبرراً الفعل الذي ينوي القيام به، مثلها مثل أي مثل سائر، أو حكمة متوارثة.

ففي قصص كتابه (عرائس المروج/1906) نجد عدداً كبيراً من هذه الأقوال، التي نمثّلُ لها بما يلي:

- هل يجيء يوم تصبح فيه الطبيعة معلمة ابن آدم، والإنسانية كتابه، والحياة مدرسته (1)

---

(1) جبران-عرائس المروج-مؤسسة علاء الدين-دمشق-2002-صفحة61

- إن أدران الجسد لا تلامس النفس النقيّة، والثلوج المتراكمة لا تميت البذور الحية (2)

-ما هذه الحياة سوى بيدر أحزان تدرس عليه أغمار النفوس قبل أن تعطي غلتها، ولكن ويل للسنابل المتروكة خارج البيدر،لأن نمل الأرض يحملها وطيور السماء تلتقطها (3)

-خير للإنسان أن يكون مظلوماً من أن يكون ظالماً، وأخلق به أن يكون شهيد ضعف الغريزة الترابية من أن يكون ساحقاً بمقابضه زهور الحياة، مشّوهاً بميوله محاسن العواطف (4)

-الذئاب تفترس النعجة في ظلمة الليل لكن آثارها تبقى على حصباء الوادي حتى يجيء الفجر وتطلع الشمس (5)

-المرء لا تعذّبه الاضطهادات إذا كان عادلاً، ولا تفنيه المظالم إذا كان بجانب الحق (6)

---

(2) المرجع السابق-صفحة66

(3) المرجع السابق-صفحة66

(4) المرجع السابق _صفحة77

(5) المرجع السابق _صفحة77

(6) المرجع السابق -صفحة78

-هنا الاستبداد القاسي، وهناك الخضوع الأعمى. فأيهما كان مولّداً للآخر؟ هل الاستبداد شجرة قوية لا تنبت في غير التربة المنخفضة، أم هو الخضوع حقل مهجور لا تعيش فيه غير الأشواك؟(7)

وفي كتابه (الأرواح المتمردة/1908) نثر جبران الكثير من هذه الأقوال الموجزة بين ثنايا سرده القصصي. ففي قصة (وردة الهاني) نجد ما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

-المحبّة قوّة تبتدع قلوبنا، ، وقلوبنا لا تقدر أن تبتدعها(8)

-المحبة تهبط على أرواحنا بإيعاز من الله لا بطلب من البشر(9)

-ان السماء لا تريد أن يكون الإنسان تعساً لأنها وضعت في أعماقه الميل إلى السعادة، لأنه بسعادة الإنسان يتمجّد الله (10).

-أيبقى الإنسان محدقاً إلى التراب أم يحوّل عينيه نحو الشمس كيلا يرى ظل جسده بين الأشواك والجماجم؟ (11)

وفي قصة (صراخ القبور) نجد أقوالاً مثل: :

-الشريعة، وما هي الشريعة؟ من رآها نازلة مع نور الشمس من أعماق السماء؟ وأي بشري رأى قلب الله فعلم مشيئته بين البشر؟ وفي

---

(7) المرجع السابق-صفحة81

(8) جبران – الأرواح المتمردة – مؤسسة علاء الدين – دمشق –2002 صفحة 52

(9) صفحة52

(10) المرجع السابق-صفحة60

(11) المرجع السابق-صفحة63

أي جيل من الأجيال سار الملائكة بين الناس قائلين احرموا الضعفاء نور الحياة، وافنوا الساقطين بحد السيف، ودوسوا الخطاة بأقدام من حديد؟) (12)

-الشريعة العمياء والتقاليد الفاسدة تعاقب المرأة إذا سقطت، أما الرجل فتسامحه(13)

أما في قصة (مضجع العروس) فنجد مثلاً:

-يد الحب التي مزجت روحي بروحك هي أقوى من يد الكاهن التي أسلمت جسدي إلى مشيئة العريس(14)

-الحياة أضعف من الموت، والموت أضعف من الحب (15)ومن قصة (خليل الكافر) يمكن لنا أن نقتطف ما يلي:

-الرحمة والقساوة تتصارعان في القلب البشري، مثلما تتحارب العناصر في فضاء هذه الليلة المظلمة، ولكن سوف تتغلّب الرحمة على القساوة لأنها إلهية (16)

-للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه (17)

---

(12)المرجع السابق-صفحة70

(13)المرجع السابق-صفحة73

(14)المرجع السابق-صفحة82

(15)المرجع السابق-صفحة96

(16)المرجع السابق-صفحة96

(17)المرجع السابق-صفحة97

-النور الحقيقي هو ذاك الذي ينبثق من داخل الإنسان، ويبيّن سرائر النفس للنفس، ويجعلها فارحة بالحياة مترنمة باسم الروح (18)

-باطلة هي الاعتقادات والتعاليم التي تجعل الإنسان تعساً في حياته، وكذابة هي العواطف التي تقوده إلى اليأس والحزن والشقاء، لأن واجب الإنسان أن يكون سعيداً على الأرض وأن يعلم سبل السعادة، ويكرز باسمها أينما كان (19)

-إن العواصف والثلوج تفني الزهور، ولكنها لا تميت بذورها(20)

- الصبيّة اللبنانية مثل ينبوع يخرج من قلب الأرض بين المنخفضات، فلا يجد ممراً ليسير به نهراً نحو البحر، فينقلب بحيرة هادئة تنعكس على وجهها أشعة القمر والنجوم (21)

-منذ ابتداء الدهر إلى أيامنا هذه، والفئة المتمسكة بالشرف الموروث تتحالف وتتفق مع الكهّان ورؤساء الأديان على الشعب (22)

-الحاكم يدّعي تمثيل الشريعة، والكاهن يدّعي تمثيل الدين، وبين الاثنين تفنى الأجساد وتضمحلّ الأرواح (23)

---

(18) المرجع السابق-صفحة101

(19) المرجع السابق-صفحة102

(20) المرجع السابق-صفحة108

(21) المرجع السابق-صفحة110

(22) المرجع السابق-صفحة114

(23) المرجع السابق-صفحة115

-كيف يرضى أبناء الله أن يكونوا عبيداً للبشر؟ (24)

-من سحابة واحدة ينبثق البرق، وينير بلحظة خلايا الأودية وقمم الجبال (25)

أما روايته (الأجنحة المتكسرة)، فتكاد لا تخلو صفحة فيها من مثل هذه الأقوال، التي نختار منها ما يلي:

-المرء إن لم تحبل به الكآبة، ويتمخّض به اليأس، وتضعه المحبة في مهد الأحلام تظل حياته كصفحة بيضاء في كتاب الكيان (26)

-إن الجمال سرّ تفهمه أرواحنا وتفرح به وتنمو بتأثيراته، أما أفكارنا فتقف أمامه محتارة محاولة تحديده وتجسيده بالألفاظ ولكنها لا تستطيع. (27)

-إن النفس الحزينة المتألمة تجد راحة بانضمامها إلى نفس أخرى تماثلها بالشعور وتشاركها بالإحساس مثلما يستأنس الغريب بالغريب في أرض بعيدة عن وطنهما (28)

-القلوب التي تدنيها أوجاع الكآبة بعضها من بعض لا تفرقها بهجة الأفراح وبهرجتها. فرابطة الحزن أقوى في النفوس من روابط الغبطة والسرور.(29)

---

(24) المرجع السابق-صفحة 132

(25) المرجع السابق-صفحة142

(26) جبران-الأجنحة المتكسرة-مؤسسة علاء الدين-دمشق-2002-صفحة53

(27) المرجع السابق-صفحة62

(28) المرجع السابق- صفحة 66

(29) المرجع السابق- صفحة 66

-كل شيء عظيم وجميل في هذا العالم يتولد من فكر واحد أو من حاسة واحدة في داخل الإنسان. (30)

-نظرة واحدة من أطراف أجفان امرأة تجعلك أسعد الناس أو أتعسهم. (31)

- إن دموع الشباب الغزيرة هي مما يفيض من جوانب القلوب المترعة، أما دموع الشيوخ فهي فضلات العمر تتسكب من الأحداق(32)

- أليست المرأة الضعيفة هي رمز الأمة المظلومة (33)

-كل شيء في الطبيعة يرمز ويتكلم عن الأمومة. (34)

-إن الجامعة البشرية قد استسلمت سبعين قرناً الى الشرائع الفاسدة فلم تعد قادرة على إدراك معاني النواميس العلوية الأولية الخالدة.

-وقد تعوّدت بصيرة الإنسان النظر إلى ضوء الشموع الضئيلة فلم تعد تستطيع أن تحدق إلى نور الشمس. (35)

-ولم يقتصر جبران في تضمينه للأقوال البليغة الموجزة على كتاباته النثرية من قصة ورواية وخاطرة ومقالة، بل راح يضمّنها أيضاً

---

(30) المرجع السابق- صفحة 71

(31) المرجع السابق- صفحة 72

(32) المرجع السابق- صفحة 78

(33) المرجع السابق - صفحة98

(34) المرجع السابق-صفحة104

(35) المرجع السابق-صفحة114

فـي قصـائده الموزونـة والمنثـورة، كمـا نـرى فـي قصيدتـه الطويلـة (المواكـب) التـي يمكـن أن نعتـبر غالبيـة أبياتـها حكمـاً أو أقـوالاً مأثورة، كما نرى فيما يلي:

فـالأرض خمّـارة والدهـر صاحبـها	وليس يرضى بها غير الألى سـكروا
والدين في الناس حقل ليس يزرعه	غـير الألـى لـهم فـي زرعـه وطـر
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا	رباً ولـولا الثواب المرتجى كفـروا
وقـاتل الجسـم مقتـول بفعلتـه	وقـاتل الـروح لا تـدري بـه البشـر
وفـي الزرازيـر جـبن وهـي طـائرة	وفـي الـبزاة شـموخ وهـي تحتضـر
والحب إن قادت الأجسام موكبه	إلـى فـراش مـن الأغـراض ينتحـر
وما السعادة في الدنيا سوى شبح	يرجى فإن صار جسماً ملّه البشـر
والموت في الأرض لابن الأرض خاتمة	وللأثـيري فـهو البـدء والظفـر

-فالموت كالبحر من خفّت عناصره يجتازه، وأخو الأثقال ينحدر(36)

وعندما يفـرد جـبران فصـلاً خاصـاً بعنـوان (حفنـة مـن رمـال الشـاطئ) فـي كتابـه (البدائـع والطرائـف) (37) يجمـع فيـه عـدداً مـن الأقوال البليغة الموجزة، التي لا يربط بينها موضوع معيّن، فإن ذلك لم يكن مفاجئاً. بل هو دليل على الأهمية الكبرى التي يوليها جبران

(36) جبران-المواكب-مؤسسة علاء الدين-دمشق-2002

(37) جبران-البدائع والطرائف-دمشق-مؤسسة علاء الدين-2002 صفحة63

لهذا الشكل من الكتابة، الذي استمر في استخدامه حتى في كتبه التي صدرت باللغة الانكليزية، لاسيما في (المجنون) و(السابق) و(النبي). إلى أن أصدر كتاب (رمل وزبد) عام1926 وخصّصه بالكامل لهذا الشكل وحده. فجمع فيه عدداً كبيراً من الأقوال الموجزة التي يحمل كل منها حكمة أو فكرة أو رأياً، في لغة مكثفة موحية، تفيض بالشاعرية والجمال.

ومن الملاحظ أن جبران في هذا الكتاب، لم يعمل على تصنيف أقواله وفق الموضوعات التي تدور حولها، بل نثرها على الصفحات دون ناظم ينتظمها. وربما كان السبب في ذلك أنه أراد لكل قول أن يقوم بمفرده ويكتفي بذاته. ومع ذلك فإن القارئ بوسعه أن يجمع الأقوال التي تتناول موضوعاً محدداً، بالرغم من كونها مبعثرة ومتداخلة، لتتكامل مع بعضها، وتتيح للفكرة العامة أن تزداد وضوحاً.

وفي سبيل ذلك، سنحاول أن نستخلص المحاور الرئيسة التي تدور عليها هذه الأقوال فيما يلي:

1-وحدة الوجود :

مما لاشكّ فيه أن فكرة وحدة الوجود تشكل العصب الرئيس لفكر جبران خليل جبران، كما يتجلّى في كتبه جميعها. وهو ما يتجلّى أيضاً في هذا الكتاب من خلال عدد كبير من الأقوال المبثوثة بين صفحاته.

فالوجود بأسره ليس سوى قصيدة واحدة تامّة الوزن تامّة

القوافي، أبدعها الخالق، الشاعر الأعظم . والإنسان ليس كياناً مستقلاً عن بقية أشياء الوجود، بل هو دائرة تتحرّك الحياة بأسرها في داخله، فهو البحر غير المتناهي، الذي يضمّ في داخله كل شيء. فلو لم تكن المجرّة نفسها في أعماق الإنسان، فكيف له أن يراها أو أن يعرفها؟. والإنسان هو كلمة الله، لأن الله عندما تكلّم، كانت كلمته الأولى إنساناً. والإنسانيّة ليست شيئاً طارئاً على هذا الوجود، بل هي نهر من النور يسير من أودية الأزل إلى بحر الأبد، ولا غاية لحياة الإنسان سوى أن يرتفع متسامياً ليحقق ذاته العظمى، ويلتحم بالذات الكلية الخالدة. فالله والإنسان والموجودات جميعها ليست سوى تجليّات متعددة لهذه الذات الواحدة. وهكذا فإن الله في عطشه المبارك سيشربنا جميعنا: قطرة الندى والدمعة معاً.لأن قطرة الندى ليست في حقيقتها سوى مظهر آخر للندى، كما ان الدرّة هي مظهر آخر لحبة الرمل، وحبة الرمل ليست سوى مظهر للصحراء. ذلك أن الأضداد جميعها ليست سوى مظاهر متعددة لجوهر واحد، فالنفس هي الجسد، واللذة هي الألم، وكذلك الماضي والمستقبل، والموت والحياة.

2- الحب :

لم يكن الحب أساس الرؤيا التي بشَّر بها المصطفى في كتاب (النبي) فحسب، بل كان هاجس جبران الأول منذ كتاباته المبكّرة. وفي الأقوال التي ضمّها كتاب (رمل وزبد) نجد إعادة صياغة لمفهوم جبران عن الحب.

فالحب كلمة من نور كتبتها يد من نور على صفحة مـن نـور. وبالحب وحده يمكن للرجل والمرأة أن يلمسا معاً قلب الأبدية. وعندما يتعانق المحبّان، فإنهما يعانقان جوهر الحب الذي يربط بينهما، أكثر مما يتعانقان كجسدين. لأن الأصل هو التعلّق بمعنى الحب الكامن فـي القلـب والوجـدان، أكـثر مـن التعلـق بشـخص المحبـوب نفســه. وهكـذا فـإن كـل رجـل فـي الحقيقـة، يحـبّ امرأتـين: الأولـى مـن صنـع خياله، والثانية لم تولد بعد. وأهم ما في علاقة الحب أن تتجدد باستمرار، لأن الحـب الـذي لا يتجـدّد يصبـح عـادة، والعـادة شـكل مـن أشـكال العبودية، فالحب الذي لا ينمو كل يوم، هو حب يحتضر في كل يوم.

3- المساواة والعدالة :

لا تختلف المفاهيم الإجتماعية التـي يقـول بـها جـبران فـي هـذا الكتاب، عن تلك التعاليم التي كان (النبي) يوجهها إلى أبناء مدينته (أورفليس) في كتاب النبي، وعن تلك الآراء التـي كـانت تمتلـئ بـها صفحات كتبه السابقة. وهي بمجملها تعود إلى الفكرتين الرئيستين اللتين يقوم عليهما فكر جبران بشكل عام، وهمـا (وحـدة الوجـود) و(فكرة الذات العظمى). فاستناداً إلى هاتين الفكرتـين لابـد لجميـع البشـر أن يكونـوا متسـاوين، لا يفضـل الواحـد منـهما الآخريـن إلا بمقدار ما يقترب من تحقيق ذاته العظمى.فما دام البشـر فـي هـذا العالم الأرضي، فإنهم جميعهم سجناء، ولكن بعضهم في سجون ذات

نوافذ، وبعضنا في سجون لا نوافذ لها. وعندما يبلغ أي إنسان قلب الحياة، سيجد أنه ليس أرفع من المجرمين، ولا أدنى من الأنبياء. ولا يمكن للمرء أن يفقد إيمانه بعدل الحياة ما دامت أحلام من ينام على الريش ليست أجمل من أحلام الذي ينام على التراب. فعند التحقيق والتدقيق نجد أن أسمى ما في هذا العالم (ممثلاً بفكر الشاعر) وأحطّ ما فيه (ممثلاً بذنب العقرب) يرجعان في الحقيقة إلى أرض واحدة.

4-الخير والشر :

يرفض جبران تقسيم المجتمع إلى صالحين وأشرار. فالصالح الصالح هو ذلك الذي لا يفصل نفسه عن جميع الذين يحسبهم العالم أشراراً. وكما رأينا في قصيدته (المواكب) ثم في كتاب (النبي)، فإن جبران ينكر وجود الشر أصلاً. لأن النفس البشرية في حقيقتها، ليست سوى بضعة من الذات الإلهية، ومن ثمّ لا بمكن لها أن تعرف الشرّ أو الخطيئة أو الجريمة. ولذلك فإن الجريمة ليست سوى اسم من أسماء الحاجة، أو مظهر من مظاهر المرض. وإن الذي يستطيع أن يضع إصبعه على الخط الفاصل بين الخير والشر يستطيع بالحقيقة أن يلامس هدب ثوب الله.

5-العطاء :

ربما كان (العطاء) هو المظهر الأكثر وضوحاً لإنسانيّة الإنسان، فالإنسان في نظر جبران وُجِدَ ليعطي. ولذلك فقد خصّص الكثير من أقواله في هذا الكتاب لمفهوم العطاء.

فإذا كان الشقاء في أن يمدَّ المرء يده إلى الناس فارغة فلا يعطونه شيئاً، فإن اليأس كله في أن يمدّها ملأى، فلا يجد من يأخذ.

وليس السخاء في أن تعطي الآخر ما هو في حاجة إليه أكثر منك، بل السخاء في أن تعطيه ما تحتاج أنتَ إليه أكثر منه. وإذا أعطيت، فلا تنس أن تدير وجهك عمن تعطيه كي لا ترَ حياءه عارياً أمام عينيك. وبما أنك لا تستطيع أن تأكل أكثر من حاجتك، فإن نصف الرغيف الذي لا تأكله يخصّ الشخص الآخر. فلولا الضيوف لكانت البيوت قبوراً. ولا تمنع العطاء عن أحد، فحتى ثوبك النظيف أعطه لمن يمسح يديه الوسختين به، لأنه يحتاج إليه، أما أنت فلا تحتاجه.

وفعل العطاء مقدّس مهما كان المعطى. فالذين يعطونك حيّة (ثعباناً) وأنت تطلب منهم سمكة، قد لا يكون لديهم ما يعطونه غير الحيّات، ولذلك يحسب عملهم أيضاً أريحية وسخاء.

6-الألم :

يمجّد جبران الألم، ويعتبره مكابدة في سبيل المعرفة والتطهّر والتخلّص من أدران الواقع وصولاً إلى تحقيق الذات العظمى. فللرجل العظيم قلبان: قلب يتألم وقلب يتأمل. والألم هو الذي يحوّل حبة الرمل إلى درّة صافية. كما ان الألم العظيم، مثله مثل الفرح العظيم، هو الذي يظهر الحق الكامن في النفس البشرية.

7- المعرفة :

يؤكد جبران في هذا الكتاب أيضاً منهجه في المعرفة ، الذي سبق وتعرفنا عليه في كتاباته السابقة. فطريق المعرفة عنده في الأساس، هو طريق الحدس والخيال والرؤيا بعين العين وقلب القلب، والغوص إلى أعماق النفس، فما دامت النفس البشرية تتضمن الكون كله، كما تتضمن حبة الرمل الصحراءَ كلها، فإن معرفة الذات هي الطريق المثلى إلى معرفة الكون. وإذا كانت (آمنة العلوية) في نصه (إرم ذات العماد) قد اعتبرت التشوّق وسيلة الإنسان الى نزع نقاب الظواهر عن بصره حتى يشاهد ذاته، ومن يشاهد ذاته يرَ جوهر الحياة المجرّد حسب قولها (38)، فإن جبران في (رمل وزبد) يؤكد على (الحنين) كوسيلة للمعرفة. فبين خيال الإنسان وإدراكه مسافة

(38) جبران-البدائع والطرائف-دمشق- مؤسسة علاء الدين-2002-صفحة149

لا يجتازها سوى حنينه، وفي كل بذرة حنين يعود بها إلى الأصل الذي جاءت منه. ويحذّرنا جبران من كثير من المذاهب المعرفية، التي قد تكون كزجاج النافذة، نرى الحقيقة من خلالها، ولكنها تفصلنا عن الحقيقة. لذلك ما على الإنسان إلا أن يفتح عينيه جيداً ليجد صورته في كل الصور، ويفتح أذنيه جيداً، ليسمع صوته في كل الأصوات. فإذا كنتَ لا ترى إلا ما يظهره النور، ولا تسمع إلا ما تعلنه الأصوات، فأنت بالحقيقة لا ترى ولا تسمع. والمعرفة مثل الحقيقة لا تتجزأ، فإذا بلغت إلى غاية ما يجب أن تعرفه، فأنت على عتبة ما يجب أن تشعر به.

8- الجمال :

يرى جبران أن الجمال هو واحد من عنصرين لا ثالث لهما، يقوم عليهما الوجود كله، وهما الجمال والحق. وإن اكتشاف الجمال هو الغاية الأسمى لوجودنا في هذا العالم ، فنحن لا نحيا إلا لنكتشف الجمال، وكل ما عدا ذلك ليس سوى شكل من أشكال الانتظار. وما علينا لاكتشاف الجمال إلا أن نلج قلب الحياة، فعندها نجد الجمال في كل شيء. لأن الجمال يتألق في قلب من يتوق إليه أكثر مما يتألق في عينيّ من يراه. ولا يوجد دين دون جمال، ولا علم. وإذا كان الجمال العظيم يأسرنا، فإن الجمال الأعظم يحرّرنا حتى من ذاته.وإذا ترنّمت بأناشيد الجمال تجد من يصغي لإنشادك ولو كنت في قلب الصحراء.

9- الفن :

في تحليلنا لقصيدة (المواكب)(39) ، رأينا جبران يعتمد الفن طريقاً للوصول إلى العالم الفاضل ، الذي تزول منه المتناقضات، وتتحقق فيه وحدة الأضداد ، ويبلغ فيه كل إنسان ذاته العظمى المتحدة بالذات الكلية الشاملة الخالدة. وهي الفكرة نفسها التي يؤكد عليها جبران في كتاب (رمل وزبد) حين يقول: الفن خطوة تخطوها الطبيعة نحو الأبدية. وهكذا فالفن ليس مجرّد نشاط إنساني يهدف إلى إظهار الجمال الموجود في أصل العالم. بل هو إضافة إبداعية حقيقية إلى الوجود. وحين يقول جبران: عندما لا تجد الحياة مغنياً يتغنى بقلبها تلد فيلسوفاً يتكلم بعقلها ، فإنما يؤكد على أسبقيّة الفن، لأنه الأكثر التصاقاً بقلب الحياة ، والأصدق تعبيراً عن جوهرها الحقيقي. ولذلك يسخر جبران من أولئك الذين يؤثرون اجتهاد النمل على إنشاد الجنادب. فإذا كان الاجتهاد في العمل ضرورياً لاستمرار الحياة ، فإن الإنشاد الفني هو الذي يستكمل الحياة ، ويسمو بالوجود ، ويتيح لعناصر الكون أن تذهب صوب أبديتها ، صوب الجمال الكامل،و الخير المطلق، والنظام الخالد. إذ ليس الجهاد في الطبيعة سوق شوق عدم النظام إلى النظام.

---

(39) نزار بريك هنيدي-مقدمة كتاب (المواكب) لجبران-مؤسسة علاء الدين-دمشق-2002

10-الشعر :

حرص جبران في الكثير من كتاباته، على بسط رؤيته الخاصة للشعر، التي تقوم على فهم عميق لهذا الفن، يتجاوز المفهوم التقليدي الضيّق، الذي يعتبر الشعر مجرّد كلام موزون مقفى يدلّ على معنى واضح محدّد. وفي كتاب (رمل وزبد) الكثير من الأقوال التي تسلط الضوء على نظرية جبران في الفن الشعري.

فالشعر ليس معنى أو فكرة يمكن التعبير عنها باللغة العادية، لأن ذلك هو مجال النثر لا الشعر. وكل ما يمكن التعبير عنه نثراً لا يصلح ليكون موضوعاً للشعر، وهو ما قصد إليه جبران حين قال: (ليس الشعر رأياً تعبّر الألفاظ عنه، بل هو أنشودة تتصاعد من جرح دام أو فم باسم). وإذا كانت الألفاظ تتخذ معنى واضحاً محدّداً في لغة النثر، فإن ألفاظ الشعر (لا تتقيّد بقيود الزمان).

إن الأساس في الشعر هو ما يعتري النفس البشرية من أحاسيس ومشاعر وحالات تتجاوز ما يمكن لكلمات القاموس أن تحيط به. وإذا كان لا بدّ للشاعر من استخدام الكلمات كعناصر في بنائه الفني، فإن ذلك لا يعني أن يتحوّل الشعر إلى مجرّد مهارات لغوية: (إنما الشعر كثير من الفرح والألم والدهشة مع قليل من القاموس).

وبما أن المجال الحيوي للشعر، هو التعبير عن السريّ والغامض فينا وفي الوجود، فإن الغموض صفة أصيلة من صفات الشعر الحقيقي . ويبثّ الشعر معناه من خلال تأثيره فينا خلال تواصلنا معه

كفن أو كإنشاد. فالتلقي الشعري، مثله مثل الإبداع الشعري، يعتمد على الحدْس والإلهام، وإيقاظ الحواس، واستنفار مكنونات الوجدان، والإدراك بالقلب والأحاسيس والمشاعر، وليس بالعقل وحده. ذلك أن الشعر وحي و(الوحي ينشد أبداً، الوحي لا يفسّر البتة). لأن التفسير عملية تعتمد على التفكير المنطقي، الذي يصلح لعالم النثر، ولا يصلح لعالم الشعر . بل إن (التفكير عقبة دائمة في سبيل الشعر).

وليس معنى ذلك أن جبران يتنكّر لدور العقل والتفكير. ولكنه يبيّن أن هناك طريقين لإدراك الوجود ومعرفة العالم. طريق العقل الذي يفضي إلى المعرفة العلمية المجردة، وطريق القلب الذي يقارب الحقائق الكبرى الكامنة فيما وراء الواقع المادي الحسي، والتي لا يمكن سبر أغوارها بالعقل وحده. وعندما نجمع بين الطريقين، فإننا ندرك لبّ الحقيقة، إذ إن (الشعر حكمة تسحر القلب، والحكمة شعر يترنّم بأناشيد الفكر. ولو استطعنا أن نسحر قلب الإنسان ونترنّم في الوقت نفسه بأناشيد فكره، لقدّر إذ ذاك نعيش في ظل الله).

د. نزار بريك هنيدي

2003/3/ 8

جبران خليل جبران

الأعمال الكاملة (1 1)

رمل وزبد

SAND AND FOAM
BY KAHLIL CIBRAN

(1927)

ليس هذا الكتاب الصغير بأكثر من أسمه . رمل وزبد . حفنة من الرمل وقبضة من الزبد .

وبالرغم عمّا ألقيت بين حباته وحبات قلبي، وبالرغم عمّا سكبت على زبده من عصارة روحي، فهو الآن وسيبقى أبداً أقرب إلى الشاطئ منه إلى البحر وأدنى إلى الشوق المحدود منه إلى اللقاء الذي لا يحده البيان.

بين جانحي كل رجل وكل امرأة قليل من الرمل وقليل من الزبد .

ولكن بعضنا يبين ما بين جناحيه وبعضنا يخجل.

أما أنا فلم أخجل.

جبران خليل جبران

نيويورك في كانون الأول سنة 27 9 .1

رمل وزبد

على هذه الشواطئ أتمشى أبداً؛

بين الرمل والزبد.

إن المد سيمحو آثار قدمي

وستذهب الريح بالزبد.

أما البحر والشاطئ فيظلان إلى الأبد.



ملأت يدي مرة بالضباب.

ثم فتحتها فإذا بالضباب قد صار دودة.

وأغلقت يدي وفتحتها ثانية فإذا هنالك عصفور.

ثم أغلقت يدي وفتحتها للمرة الثالثة، فإذا في راحتها رجل حزين الوجه ينظر إلى العلاء.

وأغلقت يدي راجعةً، وعندما فتحتها لم أرَ فيها غير الضباب.

ولكنني سمعت أغنية بالغة الحلاوة.

خيِّل إلي في الأمس أني ذرة تتموج مرتجفة في دائرة الحياة بغير انتظام. واليوم أعرف كل المعرفة أني أنا الدائرة وأن الحياة بأسرها تتحرك في بذرات منتظمة.



يقولون في يقظتهم: ما أنت والعالم الذي تعيش فيه سوى حبة رمل على شاطئ غير متناهٍ لبحرٍ غير متناهٍ.

وفي حلمي أقول لهم: أنا هو البحر غير المتناهي، وما جميع العوالم سوى حبات من الرمل على شاطئي.



ما عييت إلا أمام من سألني: من أنت؟



فكّر الله، فكان فكره الأول ملاكاً.

وتكلم الله، فكانت كلمته الأولى إنساناً.



كان الإنسان مخلوقاً هائماً ينشد ذاته الضالة في الأحراج قبل أن منحه البحر والريح كلماته بألف ألف سنة.

فكيف يستطيع والحالة هذه أن يعبّر عن العتيق من الأيام فيه بأصوات حقيرة لم يتعلمها إلا في الأمس القريب؟



تكلم أبو الهول مرة واحدة في حياته. وإليك ما قال:

حبة الرمل صحراء، والصحراء حبة رمل. قال هذا وسكت ثانية ولم يفتح فاه.

قد سمعت ما قاله أبو الهول بيد أنني لم أفهم.



رأيت وجه امرأة، فرأيت أولادها ولم يولدوا بعد. ونظرت امرأة إلى وجهي فعرفت آبائي وجدودي وقد ماتوا قبل أن تولد.

أود الآن لو يتاح لي أن أكمل ذاتي. ولكن أنى لي ذلك إذا لم أتحول إلى سيادة يعيش عليها العاقلون من الأحياء؟

أليست هذه ضالة كل إنسان على الأرض؟



الدرّة هيكل بناه الألم حول حبّة رمل.

فما هو الحنين الذي بنى أجسادنا وما هي الحبوب التي بُنيت حولها؟



عندما رماني الله حصاة صغيرة في هذه البحيرة العجيبة أزعجت هدوءها بأن أحدثت على سطحها دوائر لا يُحصى عديدها.

ولكنني عندما بلغت إلى أعماقها صرت هادئة مثلها.



اعطني الصمتَ أقتحم غمرات الليل.



قد ولدت ثانيةً عندما وقع جسدي بحب نفسي وتزوجا معاً.



عرفت في حياتي رجلاً حادّ السمع ولكنه كان أبكم. فقد خسر لسانه في معركة.

وأنا أعرف اليوم الحروب التي حاربها هذا الرجل قبل أن حلّ به قضاء الصمت العظيم. ويسرّني جداً أنّه قد مات.

لأن العالم على سعته لا يكفي لنا معاً.



طويلاً نمت في أرض مصر صامتاً غافلاً عن الفصول. ثم ولدتني الشمس، فوقفت ومشيت على حافتي النيل مترنماً مع الأيام حالماً مع الليالي.

والآن تعمش الشمس عليّ بألف قدم لكي أنام ثانية في أرض مصر.

ولكن هو ذا الأعجوبة والأحجية.

فإن الشمس نفسها التي جمعتني لا تستطيع أن تفرقني.

لذلك ما برحت منتصباً أمشي بخطى ثابتة على حافتي النيل.



التذكار شكل من أشكال اللقاء.



النسيان شكل من أشكال الحرية.



نحن نقيس الزمان بمقتضى حركة الشموس التي لا تحصى وهم يقيسون الزمان بآلات صغيرة يحملونها في جيوبهم.

فقل لي، رعاك الله، كيف يمكن أن نجتمع معاً في مكان واحد وفي وقت واحد؟



ليس الفضاء فضاءً بين الأرض والشمس لمن ينظر إليه من نوافذ المجرّة.



الإنسانية نهر من النور يسير من أودية الأزل إلى بحر الأبد.



ألا تحسد الأرواح القاطنة في الأثير الإنسان على كآبته؟



في طريقي إلى المدينة المقدسة لقيت حاجّاً آخر، فسألته: أهذه حقيقة الطريق إلى المدينة المقدسة؟

فأجابني: هلمّ ورائي تصل إلى المدينة المقدسة في يوم وليلة.

فتبعته للحال. وسرنا أياماً وسرنا ليالي ولكننا لم نبلغ إلى المدينة المقدسة.

وشدّ ما كانت دهشتي عظيمة إذ عرفت أنّه غضب لأنّه لم يسر بي في الصراط المستقيم.



اجعلني يا الله فريسة الأسد قبل أن تجعل الأرنب فريستي.



قال لي منزلي: لا تهجرني لأن ماضيك يقطن فيّ.

وقالت لي الطريق: هلمّ ورائي. فأنا مستقبلك.

أما أنا فأقول لمنزلي والطريق معاً: ليس لي ماضٍ ولا مستقبل. فإذا أقمت هنا ففي إقامتي ذهاب، وإذا ذهبت فهنالك إقامة في ذهابي، فإن المحبة والموت وحدهما يغيّران كلّ شيء.



كيف أخسر إيماني بعدل الحياة، وأنا أعرف أن أحلام الذين ينامون على الريش ليست أجمل من أحلام الذين ينامون على الأرض؟



ما أغربني عندما أشكو ألماً فيه لذتي



سبع مرات احتقرت نفسي:

أولاً ـ عندما رأيتها تتلبس بالضعة لتبلغ إلى الرفعة.

ثانياً ـ عندما رأيتها تقفز أمام المخلصين.

ثالثاً ـ عندما خيرت بين السهل والصعب فاختارت السهل.

رابعاً ـ عندما اقترفت إثماً ثم جاءت تعزي ذاتها بأن غيرها يقترف الإثم مثلها.

خامساً ـ عندما احتملت ما حلّ بها لضعفها. ولكنها نسبت صبرها للقوة.

سادساً ـ عندما احتقرت بشاعة وجه ما هو عند التحقيق سوى برقع من براقعها.

سابعاً ـ عندما أنشدت أغنية ثناء ومديح، وحسبتها فضيلة.



أنـا لا أعـرف الحقيقـة المجـردة، ولـكننـي أركـع متضعـاً أمـام جهلي، وفي هذا فخري وأجري.



بين خيال الإنسان وإدراكه مسافة لا يجتازها سوى حنينه.



الفردوس قائم هنـاك، ووراء ذلـك البـاب، فـي الغرفـة المجـاورة، ولـكنني أضعت مفتاح الباب.

ولعلي لم أضعه بل وضعته في غير موضعه.



أنـت أعمـى، وأنـا أصـم أبكـم، إذن ضـع يـدك بيـدي فيـدرك أحدنا الآخر.



ليست قيمة الإنسان بما يبلغ إليه، بل بما يتوق للبلوغ إليه.



بعضنا كالحبر وبعضنا كالورق.

فلولا سواد بعضنا لكان البياض أصم.

ولولا بياض بعضنا لكان السواد أعمى.



أعطني أذناً أعطك صوتاً.

العقل إسفنجة، والقلب جدول.

أفليس بالغريب أن أكثرنا يؤثرون الامتصاص على الانطلاق؟



إذا تقت إلى البركات التي لا تعرف لها اسماً،

وإذا حزنت وأنت لا تعرف سبباً لحزنك،

فأنت حينئذ تنمو بالحقيقة مع جميع الناميات، وترتفع متسامياً إلى ذاتك العظمى.



إذا سكر الإنسان برأي حسب أضعف تعبير عنه خمرة طيبة.



أنتم تشربون الخمر لتسكروا ، وأنا أشربها لأصحو من خمرة غيرها.

إذا فرغت كأسي رضيت بفراغها ، وإذا لم يكن فيها سوى نصفها اعترضت على نصف امتلائها.



ليست حقيقة الإنسان بما يظهره لك، بل بما لا يستطيع أن يظهره.

لذلك إذا أردت أن تعرفه، فلا تصغ إلى ما يقوله بل إلى ما لا يقوله.



نصف ما أقوله لك لا معنى له. ولكنني أقوله ليتمّ معنى النصف الآخر.



تعرف الفكاهة إذا عرفت اغتنام الفرص السانحة.



لم أشعر بألم الوحشة حين مدح الناس عيوبي الثرثارة وطعنوا في عيوبي الخرساء.



عندما لا تجد الحياة مغنياً يتغنى بقلبها تلد فيلسوفاً يتكلم بعقلها.



يجب أن تعرف الحقيقة أبداً وتقولها بعض المرات.



الحقيقي فينا صامت ولكن الاكتسابي ثرثار.

❖ ❖ ❖

لا يستطيع صوت الحياة الذي فيَّ أن يصل إلى أذن الحياة التي فيك، ولكن فلنتكلم على كل حال لئلا نشعر بوحشة الانفراد.



إذا تكلمت امرأتان فهما لا تُعلنان شيئاً.

وإذا تكلمت امرأة واحدة فإنها تعلن الحياة كلها.



قد يكون للضفادع أصوات أعلى من أصوات البقر.

ولكن الضفادع لا تستطيع أن تجر السكة في الحقل ولا أن تدير دولاب المعصرة، ولا يمكنك أن تصنع من جلودها أحذية.



لا يحسد الثرثار إلا الأصم.

إذا قال الشتاء: إن الربيع في قلبي، فمن ذا يصدق الشتاء؟



في كل بزرة حنين.



افتح عينيك جيداً وانظر، تجد صورتك في كل الصور. وافتح أذنيك جيداً وأصغ، تسمع صوتك في كل الأصوات.



يحتاج الحق إلى رجلين: الواحد لينطق به والآخر ليفهمه.



مع أن أمواج الألفاظ تغمرنا أبداً، فإن عمقنا صامت أبداً.



كثير من المذاهب كزجاج النافذة، نرى الحقيقة من خلالها، ولكنها تفصلنا عن الحقيقة.



هلم بنا نلعب لعبة «تخبأ مليح» ونفتش بعضنا عن بعض، فإذا اختبأت في قلبي فليس بالصعب عليّ أن أجدك، ولكن إذا اختبأت وراء صدفتك فحينئذ عبثاً يحاول الناس أن يهتدوا إليك.



تستطيع المرأة أن تقنع وجهها بابتسامة.



ما أنبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه عن أن ينشد أغنية مع القلوب الفرحة.



ما أشبه الراغب في فهم المرأة أو تحليل العبقرية أو حل سر الصمت بذلك الرجل الذي يفيق من حلم جميل ليأكل طعام الصباح.



سأمشي مع جميع الماشين، ولا ولن أقف بلا حراك لأراقب موكب العابرين بي.



أنت مدين لمن يخدمك بما هو أثمن من الذهب.

فاعطه من قلبك أو فاخدمه.



ألا إننا لم نعش عبثاً. أفلم يبنوا الأبراج من عظامنا؟



تكثر التحقيق ولا تبالغ في التدقيق. فإن فكر الشاعر وذنب العقرب يرجعان في مجدهما إلى الأرض الواحدة.



كل تنين يلد مارجرجس يقتله.



الأشجار أشعار تكتبها الأرض على السماء، ونحن نقطعها ونصنع الورق منها لندون فيه فراغنا وبلادتنا.



إذا وجدت في نفسك ميلاً للكتابة ـ ولا يعلم سرّ هذا الميل إلاّ القديسون ـ فلتكن فيك المعرفة والفنّ والسحر: معرفة موسيقى الألفاظ، وفن البساطة والسذاجة، وسحر محبة قرائك.



يغمسون أقلامهم في دماء قلوبنا ثم يدّعون الوحي والإلهام.



لو استطاعت الشجرة أن تدون ترجمة حياتها لما اختلفت ترجمتها عن تاريخ أية أمة من الأمم.



لو خُيرت بين القوة على كتابة الشعر وما في الشعر غير المكتوب من الهيام. لاخترت الهيام، فهو خير من الشعر.



ولكنك وجميع جيراني ومعارفي واثقون أبداً بجهلي.

وبأني أختار الرديء دون الصالح.



ليس الشعر رأياً تعبر الألفاظ عنه، بل هو أنشودة تتصاعد من جرحٍ دامٍ أو فم باسم.



الألفاظ لا تتقيد بقيود الزمان. فيجدر بك إذا تكلمت أو كتبت أن تضع هذه الحقيقة نصب عينيك.



الشاعر ملك خُلع عن عرشه فجلس بين رماد قصره يعمل في صنع صورة من الرماد.



إنما الشعر كثير من الفرح والألم والدهشة مع قليل من القاموس.



عبثاً يحاول الشاعر أن يهتدي إلى أم أناشيد قلبه.



قلت مرة لشاعر: إننا لا نعرف قيمتك حتى تموت.

فأجاب قائلاً: أجل، إن الموت يسدل النقاب عن وجه الحقيقة أبداً. وإذا كنتم بالحقيقة تودون أن تعرفوا قيمتي عن طريق الموت فما ذلك إلا لأن في قلبي أكثر مما على لساني، وفي رغباتي أكثر مما في يدي.



إذا ترنمت بأناشيد الجمال تجد من يصغي لإنشادك ولو كنت في قلب الصحراء.



الشعر حكمة تسحر القلب

والحكمة شعر يترنم بأناشيد الفكر.

ولوا استطعنا أن نسحر قلب الإنسان ونترنم في الوقت نفسه بأناشيد فكره، لقدر إذ ذاك أن يعيش في ظل الله.



الوحي ينشد أبداً، الوحي لا يفسر البتة.



كثيراً ما نغني لأولادنا لننام نحن أنفسنا.



جميع كلماتنا فتات يتساقط عن مائدة الفكر.



التفكير عقبة دائمة في سبيل الشعر.



إنما المنشد العظيم ذلك الذي يترنم بأناشيد صمتنا.



كيف تستطيع أن تغني إذا كان فمك ممتلئاً طعاماً؟

وكيف ترتفع يدك بالبركة إذا كانت ممتلئة ذهباً؟



يقولون إن البلبل ينخر صدره بمنخز عندما يغني أغنية محبته.

ونحن جميعاً مثله. إذ بغير هذا كيف نستطيع أن نغني؟



العبقرية أنشودة طائر في بدء ربيع متأخر.

إن الروح المجنحة نفسها لا تستطيع أن تتخلص من الحاجات الطبيعية.



المجنون موسيقي مثلك ومثلي، ولكن الآلة التي يضرب عليها لا تخرج ألحاناً.



الأنشودة الكامنة في صمت قلب الأم تتردد على شفتي طفلها.



ليس في العالم شهوة لا تتحقق.



لم أتفق قط مع ذاتي الثانية كل الاتفاق. ويلوح لي أن سر القضية كائن بيني وبينها.



إن ذاتك الثانية حزينة من أجلك أبداً. ولكن ذاتك الثانية تعيش وتنمو على الحزن، ولذلك فإن حزنها يؤول إلى فرح.



لا قتال بين النفس والجسد إلا في أفكار الذين نفوسهم هاجعة وأجسادهم خانعة.



إذا بلغت إلى قلب الحياة تجد الجمال في كل شيء، حتى في العيون المتعامية عن الجمال.



الجمال ضالتنا المنشودة في حياتنا كلها، وكل ما سوى ذلك أشكال من الانتظار.



ابذر بذرة تنبت لك الأرض زهرة، أنشد أحلامك في السماء تعطك السماء من تحبه نفسك.



مات الشيطان يوم ميلادك.

فليس عليك الآن أن تجتاز الجحيم لكي تجد ملاكاً.

ما أكثر النساء اللواتي يستعرن قلب الرجل

ولكن ما أقل اللواتي يستطعن الاحتفاظ به



إذا شئت أن تملك شيئاً فلا تدعه لنفسك.



عندما يلمس الرجل بيده يد امرأة، يلمس كلاهما قلب الأبدية.



المحبة قناع بين محب ومحب.



كل رجل يحب امرأتين: واحدة يخلقها خياله، والثانية لم تولد بعد.



الرجل الذي لا يغتفر للمرأة هفواتها الصغيرة لن يتمتع بفضائلها الكبيرة.



الحب الذي لا يتجدد في كل يوم وليلة يتحول إلى شكل من قوة الاستمرار وهذه في وقتها لا تلبث أن تنقلب عبودية.



يعانق المحبان ما بينهما أكثر مما يعانق أحدهما الآخر.



المحبة والشك لا يجتمعان.



المحبة كلمة من نور، كتبتها يد من نور، على صحيفة من نور.



الصداقة مسؤولية لذيذة أبداً وليست الصداقة فرصة للنفعيين.



إذا كنت لا تفهم صديقك في جميع الظروف فأنت لا ولن تفهمه.



إن أجمل أثوابك قد نسج في نول ذاتك الأخرى.

وأطيب مآكلك تتناولها على مائدة ذاتك الأخرى.

وأفضل سرير لراحتك هو في بيت ذاتك الأخرى.

فقل لي بربك كيف تستطيع أن تفصل نفسك عن ذاتك الأخرى؟



لن يتفق فكرك وقلبي حتى ينقطع فكرك عن أن يعيش بالأرقام ويقف قلبي عن الحياة بالضباب.



لن نفهم بعضنا بعضاً حتى نحول اللغة إلى سبع كلمات.

كيف تفض أختام قلبي إذا لم ينسحق؟



لا يظهر الحق الذي فيك إلا الألم العظيم أو الفرح العظيم.

فإذا شئت أن تعلن حقيقة ذاتك وجب عليك إما أن ترقص عارياً في الشمس أو أن تحمل صليبك.



لو أصغت الطبيعة إلى مواعظنا في القناعة لما جرى فيها نهر إلى البحر، ولما تحول الشتاء إلى ربيع.

ولو أصغتَ إلى كل نصائحنا في وجوب الاقتصاد، فكم كان بيننا الذين يتنشقون هذا الهواء؟



إنك لا ترى سوى ظلك وأنت تدير ظهرك للشمس.

أنت حر أمام شمس النهار.

وأنت حر أمام قمر الليل وكواكبه.

وأنت حر حيث لا شمس ولا قمر ولا كواكب.

بل أنت حر عندما تغمض عينيك عن الكيان بكليته.

ولكن أنت عبد لمن تحب لأنك تحبه.

وأنت عبد لمن يحبك لأنه يحبك.



جميعنا متسولون نقف على بوابة الهيكل، وكل منا ينال قسطه من عطية الملك وهو يدخل إلى الهيكل ويخرج منه.

ولكننا جميعا نحسد بعضنا بعضاً، فنظهر بهذا تصغيرنا للملك.



إنك لا تستطيع أن تأكل أكثر من حاجتك. فإن نصف الرغيف الذي لا تأكله يخص الشخص الآخر، ويجب أن تحفظ غيره قليلاً من الخبز لضيف ربما يمر بك على بغتة.



لولا الضيوف لكانت البيوت قبوراً.



قال ذئب مضياف لحمل مسكين: هل تريد أن تشرف منزلنا بزيارة؟

فأجابه الحمل: كم كان فخري بزيارتك عظيماً لو لم يكن منزلك في معدتك.



أوقفت ضيفي على عتبة بابي وقلت له: بربك لا تمسح قدميك وأنت تدخل، بل امسحهما وأنت تخرج.



ليس السخاء بأن تعطيني ما أنا في حاجة إليه أكثر منك، بل السخاء بأن تعطيني ما تحتاج إليه أكثر مني.



أنت رحوم إذا أعطيت، ولكن لا تنس وأنت تعطي أن تدير وجهك عمن تعطيه لكي لا ترى حياءه عارياً أمام عينيك.



الفرق بين أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء يوم جوع وساعة عطش.

نستدين في الغالب من غدنا لكي ندفع ديون أمسنا.



كثيراً ما تزورني الملائكة والشياطين، ولكنني أتخلص منهم.

فإذا كان الزائر ملاكاً فإني أصلي صلاة قديمة فيملها ويترك منزلي.

وإذا كان شيطاناً فإني أرتكب أمامه خطيئة قديمة فيمر بي مجتازاً.



ليس هذا بالسجن الرديء على كل حال. ولكنني لا أحب هذا الجدار الذي يفصلني عن السجين في الغرفة الثانية. على أنني أؤكد لك أنني لا أريد أن أقرب من السجان ولا من الذي بَنَى السجن.



إن الذين يعطونك حية وأنت تسألهم سمكة ربما ليس لديهم ما يعطونه غير الحيات. ولذلك يحسب عملهم أريحية وسخاء.

ينجح الخداع حيناً ، ولكنه يسير أبداً إلى الانتحار.



أنت بالحقيقة صفوح غفور: إذا كنت تصفح عن القتلة الذين لم يسفكوا دماً ، واللصوص الذين لم يسرقوا ، والمنافقين الذين لم يكذبوا.



إن الذي يستطيع أن يضع إصبعه على الخط الفاصل بين الخير والشر يستطيع بالحقيقة أن يلامس هدب ثوب الله.



إذا كان قلبك بركاناً فكيف تتوقع أن تزهو الأزهار في يديك؟



أليس غريباً أنني كثيراً ما أحب أن يخدعني الناس ويغشوني لكي أضحك على حساب الذين يفكرون أنني لا أعرف أنهم يخدعونني؟



ماذا أقول في المطارِد الذي يمثل دور المطارَد؟

أعط ثوبك لمن يمسح يديه الوسختين به، لأنه ربما يحتاج إليه، أما أنت فلا تحتاج إليه.



يا للأسف الشديد كيف أن الصيرفي لا يستطيع أن يكون بستانياً.



بربك لا تغط هفواتك الأصلية بفضائلك الاكتسابية، فأنا أتمسك بهفواتي الصغيرة فهي ملك خاص بي.



كم من مرة عزوت لنفسي جرائم لم أرتكبها قط لئلا أظهر أرفع ممن يجالسني من المجرمين.



إن براقع الحياة نفسها هي براقع لسر أعمق من الحياة.



تستطيع أن تدين الآخرين بحسب معرفتك لذاتك.

فهل لك أن تقول لي من هو المجرم بيننا ومن هو البريء؟.



إن البار بالحقيقة هو ذلك الذي يشعر بأنه سبب لنصف الجرم الذي أجرمته أنت.



لا يكسر الشرائع البشرية إلا اثنان: المجنون والعبقري، وهما أقرب الناس إلى قلب الله.



مطاردة بعضهم وهبت قدمي السرعة.



ليس لي أعداء يا رب، ولكن إذا كان لابد من وجود عدو لي، فاجعل يا رب قوته مضارعة لقوتي، لكي لا تكون الغلبة إلا للحق.



ستكون على ولاء تام مع عدوك بعد موتكما.



كثيراً ما ينتحر الإنسان في الدفاع عن نفسه.



عاش في قديم الزمان رجل صلبه الناس لأنه كان يحب كثيراً وكان يحبه الناس كثيراً.

ولعلك تدهش إذ أخبرك أنني رأيته ثلاث مرات في الأمس القريب.

ففي المرة الأولى رأيته يسأل الشرطي أن لا يأخذ زانية إلى السجن، وفي المرة الثانية رأيته يشرب الخمر مع أحد السكيرين، وفي المرة الثالثة رأيته يصارع رجلاً أراد أن يتخذ الكنيسة وسيلة للإعلان والتذييع.



إذا كان كل ما يقولونه في الخير والشر حقيقيا فإن حياتي كلها سلسلة من الجرائم.



ليست الرحمة سوى نصف العدالة.



ما ظلمني إلا الذي ظلمت أخاه.



إذا رأيت رجلاً يقاد إلى السجن فقل في قلبك: لعله يهرب من سجن أضيق وأظلم من السجن الذي يسير إليه.

وإذا رأيت سكيراً فقل في قلبك: من يدري إذا كان هذا الرجل لم يسكر لكي يتخلص مما هو شر من السكر؟



كثيراً ما حملني الدفاع عن النفس إلى البغضاء، ولكن لو كنت أوفر قوة لما لجأت إلى مثل هذه الوسيلة.



ما أبلد من يرقع نظرات البغض في عينيه بخرق ابتسامة في شفتيه.



لا يحسدني ولا يبغضني إلا الذين دوني.

ولكن لم يحسدني ولم يبغضني أحد قط، فأنا إذن لست فوق أحد.

ولا يمدحني ولا يصغرني إلا الذين فوقي.

ولكن لم يمدحني ولم يصغرني أحد قط، فأنا إذن لست فوق أحد.



قولك إنك لا تفهمني مديح لا أستحقه أنا وإهانة لا تستحقها أنت.



ما أحقرني عندما تعطيني الحياة ذهباً فأعطيك فضة ثم أحسبني سخياً.



عندما تبلغ إلى قلب الحياة تجد أنك لست أرفع من المجرمين ولا أدنى من الأنبياء.



غريب أنك تقصر شفقتك على بطيء القدمين دون بطيء الفكر، وأعمى العينين دون أعمى القلب.



تقضي الحكمة على الأعرج ألا يكسر عكازه على رأس عدوه.



ما أعمى الذي يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك.



الحياة موكب عظيم، ينظر إليه بطيء الخطى فيحسبه سريعاً جداً ولذلك يهرب منه. وينظر إليه سريع الخطى فيحسبه بطيئاً ويهرب منه.



إذا كان لابد من وجود الخطيئة فإن فريقاً منا يرتكبونها بالتفاتهم إلى الوراء لاقتفاء خطوات آبائنا وجدودنا.

ويقترفها الفريق الآخر بتحديقهم إلى الأمام للمبالغة في السيادة على أبنائنا.



الصالح الصالح هو ذلك الذي لا يفصل ذاته عن جميع الذين يحسبهم العالم أشراراً.



جميعنا سجناء ولكن بعضنا في سجون ذات نوافذ وبعضنا في سجون بدون نوافذ.



عجيب غريب أننا ندافع عن خطئنا بأكثر قوة مما ندافع عن صوابنا.



لو اعترفنا بعضنا لبعض بخطايانا لضحكنا جميعنا بعضنا على بعض لشدة فقرنا إلى الابتكار.

ولو أظهرنا جميعنا فضائلنا بعضنا لبعض لأغربنا في الضحك للسبب عينه.



يظل الفرد فوق الشرائع البشرية حتى يقترف إثماً ضد المجامع البشرية.

وبعد ذلك لا يكون فوق أحد ولا دون أحد؟



الحكومة اتفاق بينك وبيني. وأنت وأنا في الغالب على ضلال.



الجريمة اسم من أسماء الحاجة أو مظهر من مظاهر المرض.



هل هنالك خطأ أعظم من الشعور بخطأ الآخرين؟



إذا ضحك امرؤ منك تستطيع أن تشفق عليه، ولكن إذا ضحكت عليه فربما لم تستطع أن تصفح عن نفسك.

وإذا أساء امرؤ إليك فأنت تقدر أن تنسى الإساءة، ولكن إذا أسأت إليه فأنت ذاكر إساءتك أبداً.

لذلك ثق بأن هذا الشخص الثاني هو ذاتك الأكثر إحساساً ولكن في جسد غير جسدك.



ما أحمقك وأنت تطلب من الناس أن يطيروا بجناحيك ولكنك لا تقدر أن تعطيهم ريشة.



جلس رجل مرة إلى مائدتي فأكل خبزي وشرب خمرتي وذهب ضاحكاً مني.

ثم جاءني بعدئذ يطلب خبزاً وخمراً، فرددته خائباً، فضحكت الملائكة مني.



البغض جثة راقدة فمن منكم يريد أن يكون قبراً؟



حسب القتيل فخراً أنه ليس بالقاتل.



منبر الإنسانية قلبها الصامت لا عقلها الثرثار.



يحسبونني مجنوناً لأنني لا أبيع أيامي بدنانيرهم. وأحسبهم مجانين لأنهم يظنون أن أيامي تباع بالدنانير.



يبسطون أمامنا ثروتهم من الذهب والفضة، ونبسط أمامهم القلوب والأرواح ومع ذلك يحسبون نفوسهم المضيفين ويحسبوننا الأضياف.



أحب أن أكون الأصغر بين ذوي الأحلام، الراغبين في تحقيق أحلامهم، ولا أكون الأعظم بين من لا أحلام ولا رغبات لهم.



أدعى الناس إلى الشفقة ذلك الذي يحول أحلامه إلى الفضة والذهب.



جميعنا نتسلق المرتفعات للبلوغ إلى قنة رغبات قلوبنا. فإذا سرق المتسلق إلى جانبك جرابك وكيسك فسمن بالأول وازداد ثقله بالثاني، فخذه بحلمك واشفق عليه: لأن السمن يجعل الصعود صعباً عليه، والثقل الذي أضافه إلى أحماله يطيل الطريق أمامه.

فإذا رأيته وأنت في نحافتك وهزالك، بطيئاً رازحاً تحت حمله، فلا تتأخر عن مساعدته، لأن ذلك يزيد في سرعتك.

لا تستطيع أن تحكم على رجل بأكثر مما تعرف عنه، وما أحقر معرفتك.



لا أحب أن أصغي إلى غازٍ يعظ الذين فتح بلادهم.



الحر الحقيقي هو الذي يحمل أثقال العبد المقيد بصبر وشكر.



منذ ألف سنة قال لي جاري: إنني أكره الحياة لأنه ليس فيها سوى الألم.

وقد مررت في الأمس بالمقبرة فرأيت الحياة ترقص على قبره.



ليس الجهاد في الطبيعة سوى شوق عدم النظام إلى النظام.



الوحدة عاصفة صماء تحطم جميع الأغصان اليابسة في شجرة حياتنا ، ولكنها تزيد جذورنا الحية ثباتاً في القلب الحي للأرض الحية.



حدثت مستنقعة عن البحر فحسبتني خيالياً يبالغ، وحدثت البحر عن المستنقعة فظنني مفترياً يهجو.



ما أضيق عيش من يؤثر اجتهاد النمل على إنشاد الجنادب!.



أسمى الفضائل في هذا العالم ربما تكون أدناها في العالم الثاني.



العميق والعالي ينزلان إلى الأعماق أو يصعدان إلى الأعالي ولا يتحرك في الدوائر إلا الفسيح الرحيب.



لولا مقاييسنا وأوزاننا المحدودة لتهيبنا أمام الحباحب مثلما نتهيب أمام الشموس.



العالم بدون خيال جزار تعطلت سكاكينه وموازينه.

ولكن ماذا نعمل ونحن لا نستطيع أن نكون نباتيين بأجمعنا؟



إذا غنيت للجائع سمعك بمعدته.

ليس الموت بأقرب إلى الشيخ منه إلى الطفل الرضيع، والحياة كالموت.



إذا كنت تريد أن تكون مخلصاً فكن مخلصاً بجمال، وإلا فاصمت، لأن في جوارنا رجلاً يحتضر.



من يدري إذا لم تكن الجنازة بين الناس عرساً بين الملائكة؟



تستطيع الحقيقة المنسية أن تموت وتترك في وصيتها سبعة آلاف حقيقة لتنفق في جنازتها وبناء قبرها.



نحن نتكلم لنخاطب ذواتنا فقط، ولكن كثيراً ما نرفع أصواتنا أكثر مما ينبغي فيسمعنا الآخرون.



الواضح هو ذلك الذي لا يراه أحد حتى تعبر عنه بملء البساطة.



لو لم تكن المجرة في أعماقي فكيف كان يمكن أن أراها أو أعرفها؟



إذا لم أصر طبيباً بين الأطباء فلا يصدقون أنني منجم.



ليس اللؤلؤ سوى رأي البحر في الصدف.

وليس الماس سوى رأي الزمن في الفحم.



الشهرة شبح الهوى الواقف في النور.

❖ ❖ ❖

الجذر زهرة تحتقر الشهرة.

❖ ❖ ❖

لا دين ولا علم بدون الجمال.

❖ ❖ ❖

لم أعرف رجلاً عظيماً لم يكن في الأساس الذي وضع عليه صرح عظمته بعض الأشياء الصغيرة، وهذه الصغيرات بعينها هي التي حالت بين جميع العظماء بين الخمول والجنون والانتحار.

❖ ❖ ❖

إنما الرجل العظيم ذلك الذي لا يسود ولا يساد.

❖ ❖ ❖

لم يعمل البشر إلا بمقتضى قول القائل: «خير الأمور الوسط» ولذلك تراهم يقتلون المجرمين والأنبياء.

❖ ❖ ❖

المتساهل مريض بحب داء الادعاء.

❖ ❖ ❖

ربما كان عدم الاتفاق أقصر مسافة بين فكرين.



أنا اللهيب وأنا الهشيم اليابس وبعضي يأكل بعضي. فهلا حولت وجهك عني لكي لا يعميك دخاني.



جميعنا نسعى إلى قنة الجبل المقدس، أفلا تكون طريقنا إذا اعتبرنا الماضي خريطة أقصر مما إذا اتخذناه دليلاً؟.



لا تكون الحكمة حكمة إذا ترفعت عن البكاء، وتكبرت على الضحك، وتلهت بنفسها فلم تنشد نفس غيرها.



إذا اكتفيت بكل ما تعرفه أنت فأين أضع الذي لا تعرفه؟

قد تعلمت الصمت من الثرثار، والتساهل من المتعصب، واللطف من الغليظ، والأغرب من كل هذا أنني لا أعترف بجميل هؤلاء المعلمين.



المتعصب بالدين خطيب بالغ الصمم.



سكوت الحسود كثير الضوضاء.

❖ ❖ ❖

إذا بلغت إلى غاية ما يجب أن تعرفه، فأنت على عتبة ما يجب أن تشعر به.

❖ ❖ ❖

المبالغة حقيقة لا تملك طباعها.

❖ ❖ ❖

إذا كنت لا ترى إلا ما يظهره النور ولا تسمع إلا ما تعلنه الأصوات، فأنت بالحقيقة لا ترى ولا تسمع.

❖ ❖ ❖

الحقيقة لا تتجزأ.

❖ ❖ ❖

لا تستطيع أن تضحك وتكون قاسياً في وقت واحد.

أقرب الناس إلى قلبي ملك لا مملكة له وفقير لا يعرف كيف يتسول.

❖ ❖ ❖

الفشل في حياته خير من النجاح في ادعائه.

❖ ❖ ❖

أحفر أين شئت في الأرض تجد كنزاً، ولكن عليك أن تحفر بإيمان الفلاح.

قال ثعلب يطارده عشرون صياداً على خيولهم المطهمة وأمام كل صياد كلبه النبيه: سيقتلونني ولا شك. ولكن ما أحمقهم وما أبلدهم فإنني لا أعتقد أن عشرين ثعلباً تحمق إلى درجة أنها تركب عشرين حماراً وتصحب معها عشرين ذئباً لتفترس رجلاً واحداً.



فكر الإنسان دون روحه، يخضع للشرائع التي يسنها الإنسان.



إنني سائح وملاح في وقت واحد وفي كل صباح أكتشف قارة جديدة في نفسي.



قالت امرأة: كيف لا تكون الحرب مقدسة وقد مات فيها ابني؟



قلت مرة للحياة: أود لو أسمع الموت متكلماً.

فرفعت الحياة صوتها قليلاً وقالت لي: إنك تسمعه الآن.



إذا فرغت من حل جميع أسرار الحياة تتوق إلى الموت لأنه سر من أسرار الحياة.



الولادة والموت مظهران من أنبل مظاهر الشجاعة.



يا صاحبي...! إنني سأظل وإياك غريبين عن الحياة.

غريبين أحدنا عن الآخر، وكل عن نفسه.

إلى اليوم الذي تتكلم فيه فأصغي إليك حاسباً صوتك صوتي، وأقف أمامك كأنني أقف أمام مرآة.

يقولون لي: لو عرفت نفسك لعرفت جميع الناس.

فأقول لهم: لن أعرف نفسي حتى أعرف جميع الناس.



أنت: اثنان: واحد متيقظ في الظلمة والثاني غافل في النور.



الناسك الحق هو ذلك الذي يهجر عالم الذرات ويتمتع بعالم الكليات غير المتجزئة.



بين العالم والشاعر مرج أخضر، فإذا اجتازه العالم صار حكيماً، وإذا اجتازه الشاعر صار نبياً.



رأيت في مساء الأمس فلاسفة يحملون رؤوسهم في سلاسل ويطوفون في ساحات المدينة وهم ينادون بأعلى الصوت: الحكمة الحكمة للبيع.

مساكين الفلاسفة فهم يبيعون رؤوسهم ليطعموا قلوبهم.



قال فيلسوف لكناس الشوارع: إنني أشفق عليك لأن عملك مضنك قذر.

فأجاب كناس الشوارع وقال: أشكرك يا سيدي، ولكن قل لي ما هو عملك؟

فأجاب الفيلسوف متبجحاً: إنني أدرس أخلاق الناس وطبائعهم وأبحث في أعمالهم ومنازعهم.

فضحك كناس الشوارع وسار في عمله قائلاً للفيلسوف: يا مسكين يا مسكين.



ليس من يصغي للحق بأصغر ممن ينطق بالحق.

ما من رجل يستطيع أن يفصل بين الضروري وغير الضروري من الحاجات، لأن هذا العمل من ميزات الملائكة، والملائكة حكماء أذكياء.

ومن يدري إذا لم تكن الملائكة أفكارنا الفضلى في الفضاء؟



إنما الأمير كل الأمير ذلك الذي يجد عرشه في قلوب الدراويش.



الجود أن تعطي أكثر مما تستطيع، والإباء أن تأخذ أقل مما تحتاج إليه.



لست مديناً بشيء لإنسان عند التحقيق، ولكنك مدين بكل شيء لجميع الناس.



جميع الذين عاشوا في الماضي يعيشون معنا اليوم، فهل بيننا من لا يريد أن يكون مضيفاً مضيافاً؟



كثير الرغبات طويل الحياة.



يقولون لي: عصفور في اليد ولا عشرة على الشجر.

أما أنا فأقول لهم: إن عصفوراً واحداً على الشجر خير من عشرة في اليد.



في الوجود عنصران لا ثالث لهما، وهما الجمال والحق. الجمال في قلوب المحبين، والحق في سواعد الذين يحرثون الأرض.



الجمال العظيم يأسرني، ولكن الجمال الأعظم يحررني من أسر ذاته.



يشرق الجمال أكثر لمعاناً في قلب المشتاق إليه مما في عيني الذي يراه.



إنني أعجب بالرجل الذي يظهر لي فكره، وأمجد الرجل الذي يحسر القناع عن أحلامه، ولكن لماذا أنا خجول حيي أمام الذي يخدمني؟



كان الموهوب في الماضي يفاخر بخدمة الملوك.

أما اليوم فإنه يدعي خدمة المساكين.



تعرف الملائكة أن كثيرين من الرجال العمليين يأكلون خبزهم بعرق جبهة الخيالي الكثير الأحلام.



الذكاء في الغالب قناع إذا قدرت على تمزيقه رأيت إما عبقرية ثائرة أو حذاقة ماكرة.



الفهيم ينسب إليَّ الفهم والبليد ينسبني إلى البلادة. ويلوح لي أنهما كليهما مصيبان.



لا يدرك أسرار قلوبنا إلا من امتلأت قلوبهم بالأسرار.



إن الذي يشاركك في ملذاتك دون آلامك سيخسر المفتاح لواحدة من سبع بوابات الجنة.



أجل، إن النيرفانا موجودة، وهي تقوم بقيادة خرافك إلى المراعي الخضراء، ووضع طفلك في سرير لينام، وكتابة السطر الأخير من قصيدتك.



نختار أفراحنا وأحزاننا قبل أن نختبرها بزمن طويل.



الكآبة جدار بين بستانين.



إذا تعاظم حزنك أو فرحك صغرت الدنيا في عينيك.

الرغبة نصف الحياة، أما عدم الاكتراث فنصف الموت.



أمر ما في أحزان يومنا ذكرى أفراح أمسنا.

يقولون لي: يجب أن تختار بين ملذات هذا العالم وسلام العالم الثاني.

فأقول لهم: قد اخترت أفراح هذا العالم وسلام العالم الثاني معاً. فإنني أعرف في قلبي أن الشاعر الأعظم لم يكتب سوى قصيدة واحدة، وهي تامة الوزن تامة القوافي.



الإيمان واحة مخضلة الجوانب في صحراء القلب لا تبلغ إليها قوافل الفكر.



إذا بلغت إلى ملء رفعتك فأنت لا ترغب إلا في الرغبة، ولا تجوع إلا للجوع، ولا تعطش إلا للعطش الأعظم.



إذا بحت بأسرارك للريح فلا تلم الريح إذا باحت بها للأشجار.



إن أزهار الربيع هي أحلام الشتاء تقرب على مائدة الملائكة عند الصباح.



السلاحف أكثر خبرة بالطرق من الأرانب.



أليس من الغريب أن المخلوقات التي بدون سلسلة فقرية تعيش في أصداف آمن من ذوات الفقرات؟



أكثر الناس كلاماً أقلهم ذكاء، وبين الخطيب والدلال بون شاسع.



كن شكوراً لأنك لست مرغماً على الحياة بصيت أبيك أو مال عمك.

ولكن كن شكوراً أكثر من هذا إذا لم يكن لك من يعيش بصيتك أو بثروتك.



إذا أخطأ المشعوذ في القبض على كرته جاءني مستغيثاً مسترحماً.



يمدحني الحسود وهو لا يعلم.



كنت حلماً في نوم أمك العميق زمناً طويلاً، وعندما أفاقت من نومها ولدتك.



إن خميرة الجنس كائنة في حنين أمك.



شاق أبي وأمي ولد فولداني. وشاقني أن يكون لي أب وأم فولدت البحر والليل.



بعض أبنائنا كالأعذار وبعضهم كالذنوب.

إذا جاء الليل وكنت مظلماً مثله، فاذهب إلى فراشك وكن مظلماً باختيارك.

وإذا جاء الصباح وأنت لا تزال مظلماً فانهض وقل للنهار بإرادتك الكاملة: إنني ما برحت مظلماً.

فإن من البلادة أن تقف في وجه الليل والنهار، فهما يضحكان منك لو قلت.



ليس الجبل المقنع بالضباب تلة، وليست السنديانة تحت المطر بالصفصافة الباكية.



إليك هذه الأحجية: إن العميق أو العالي هما أقرب أحدهما إلى الآخر من المتوسط لأحدهما.



عندما وقفت أمامك مرآة نقية، تأملت فيَّ ملياً فرأيت صورتك.

ثم قلت لي: إنني أحبك.

ولكنك بالحقيقة أحببت ذاتك فيَّ.



إذا تلذذت بمحبة قريبك زالت فضيلتك من محبتك.



المحبة التي لا تنبع في كل يوم، تموت في كل يوم.

لا تستطيع أن تمتلك الشباب ومعرفة الشباب في الوقت الواحد.

لأن الشباب تلهيه المعيشة عن المعرفة، والمعرفة يلهيها البحث عن ذاتها عن المعيشة.

قد تنظر من نافذة منزلك فترى بين عابري الطريق راهبة تسير إلى يمينك ومومساً تسير إلى يسارك.

وفي سذاجتك وطهارة قلبك تقول لذاتك: ما أنبل هذه وأما أقبح تلك.

ولكنك لو أغمضت عينيك وأصغيت هنيهة لسمعت صوتاً يتردد في الأثير قائلاً بلسانك: إن الواحدة تنشدني بالصلاة والثانية بالألم، وفي روح كل منهما مظلة لروحي.



مرة في كل مائة سنة يلتقي يسوع الناصري بيسوع النصارى في حديقة بين جبال لبنان، فيتحادثان طويلاً، وفي كل مرة ينصرف يسوع الناصري وهو يقول ليسوع النصارى: أخشى يا صاحبي أننا لن نتفق أبداً.



ليشبع الرب المتخمين.



للرجل العظيم قلبان: قلب يتألم وقلب يتأمل.



إذا كذب الإنسان كذبة لا تؤذيك ولا تؤذي أحداً سواك فلماذا لا تقول في قلبك: إن بيت حقائقه لا يسع خياله ولذلك يتركه إلى فضاء أرحب؟



وراء كل باب موصد سر مختوم بسبعة أختام.



الانتظار سنابك الزمن.



ماذا يهمك إذا كان الهم نافذة جديدة في الجدار الشرقي لبيتك؟



قد تنسى الذي ضحكت معه، ولكنك لن تنسى الذي بكيت معه.



لا شك أن في الملح قوة مقدسة عجيبة. فهو كائن في دموعنا وفي البحر.



إن إلهنا في عطشه المبارك سيشربنا جميعنا: قطرة الندى والدمعة معاً.

ما أنت إلا ذرة من ذاتك الجبارة: فم ينشد خبزاً، ويد عمياء تمسك قدحاً لفم عطشان.



إذا ارتفعت عن التعصب لجنسك أو بلادك أو ذاتك ذراعاً واحدة صرت بالحقيقة مثل ربك.



لو كنت في موضعك لما أنحيت باللائمة على البحر في وقت الجزر.



السفينة جيدة والربان ماهر، ولكن التشويش في معدتك أنت.



إن ما نتوق إليه ونعجز عن الحصول عليه أحب إلى قلوبنا مما قد حصلنا عليه.



لو جلست على السحابة لما رأيت الحد الفاصل بين بلاد وبلاد ولا الحجر الفاصل بين حقل وحقل.

ولكن يا للأسف إنك لا تستطيع أن تجلس على السحابة.



من سبعة قرون طارت سبع حمامات بيضاء من واد عميق وحلقت قاصدة قنة جبل عالٍ تغطيه الثلوج. فقال أحد الرجال السبعة الذين كانوا يراقبون الطيران: إنني أرى نقطة سوداء على جناح الحمامة السابعة.

واليوم يتحدث الناس في ذلك الوادي بسبع حمامات سوداء طارت في قديم الزمان إلى قنة الجبل المغطاة بالثلوج.



جمعت كل أحزاني في الخريف ودفنتها في بستاني.

وعندما رجع نيسان وجاء الصيف ليتزوج الأرض، نبتت في بستاني أزهار بالغة الجمال تختلف عن جميع الأزهار الأخرى.

فجاء جيراني لكي ينظروا أزهار بستاني، وقالوا لي جميعهم: إذا جاء الخريف وجاء معه وقت البذار أفلا تعطينا من بذار هذه الأزهار لكي نزرعها في بساتيننا؟



التعاسة في أن أمد يدي فارغة للناس فلا يضع فيها أحد شيئاً ، أما القنوط ففي أن أمدها ملآنة فلا يأخذ الناس منها شيئاً.



أتوق إلى الأبدية لأنني سأجتمع فيها بقصائدي غير المنظومة ، وصوري غير المرسومة.



الفن خطوة تخطوها الطبيعة نحو الأبدية.



عمل الفن ضباب مسكوب في صورة.



إن الأيدي التي تصنع أكاليل الشوك هي أفضل من الأيدي الكسولة.



إن أقدس دموعنا لما تعرف الطريق إلى مآقينا.

كل إنسان هو ابن لكل ملك ولكل عبد عاش قبله في العالم.



لو أن جد يسوع عرف ما كان مستتراً فيه أفما كان يقف وقفة الخشية والخشوع أمام نفسه؟



هل كانت محبة أم يهوذا لابنها أقل من محبة مريم ليسوع؟



لأخينا يسوع ثلاث عجائب لم تكتب بعد في الكتاب: الأولى أنه كان إنساناً مثلي ومثلك. والثانية أنه كان ذا كياسة وظرف. والثالثة معرفته أنه غالب مع أنه غلب.



أيها المصلوب، إنك مصلوب على قلبي، والمسامير التي ثقبت يديك تخترق جدران قلبي.

وغدا عندما يمر غريب بهذه الجلجثة لن يظن أن دم اثنين نازف هنا، بل يظنه دم واحد فقط.

لعلك سمعت بالجبل المبارك، فهو أعلى جبل في العالم.

فلو بلغت قمته لم يكن لك سوى أمنية واحدة وهي أن تهبط نازلاً وتقيم مع النازلين في أعمق واد.

ولذلك دعي الجبل المبارك.



كل فكر حبسته عن الظهور بالكلام يجب أن أطلقه بالأعمال.

فهرس